مارتن لوثر كنج

لماذا نفذ صبرنا

I have a dream

مكتبة الرمحي أحمد٦٣
https://t.me/ktabpdf

إبراهيم جلال

دار مشارق

لماذا نفد صبرنا؟

مارتن لوثر كينج

ترجمة: إبراهيم جلال

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

الكتاب ٦٣

https://t.me/ktabpdf

الناشر

دار مشارق

تمهيد

حيـــاة أخــرى للحلــم

هوزعيم أمريكي أسود، قس وناشط سياسي إنساني، عاش ما بـين (15 ينـاير 1929 - 14 أبريـل 1968) وطالــب طـوال حياتـه بإنهـاء التمييز العنصري ضد بني جنسه، وكان مارتن لوثر كيـنج، الكـاهن المعمداني الذي لعب دورا مهما في إلغاء قوننة التمييـز العنـصري في الولايات المتحدة، ودفع حياته ثمنا لذلك.

وحصل على جائزة نوبل للسلام في عام 1964م، وكان أصغر من يفوز بها فى سن مثل هذا. تم اغتياله في الرابع من أبريل عـام 1968، حيث اعتبر مارتن لوثر كينج من أهـم الشخـصيات الـتي دعـت إلى الحريه وحقوق الإنسان.

كانت جذور هذا الطفل (الأمريكي) تمتد بعيدا في التربة الأفريقيـة الـتي اقتلـع منهـا أجـداده ليبـاعوا كالعبيـد ويـشتروا في الأراضـي الأمريكية، لخدمة السيد الأبيض. وعمل الأب كيـنج راعيـا لكنيـسة صغيرة بعد أن تلقى العلم في كلية "مور هاوس"، وعاش بعد زواجه

في بيت صهره "ويليامز" رفيقه فيما بعد في حركة نضال الزنوج، وهي الحركة التي سار فيها مارتن على درب أبيه وجده حتى أصبح أشهر الدعاة المطالبين بالحقوق المدنية للزنوج.

لست أقل من الآخرين

كانت مظاهر التفرقة العنصرية في أتلانتا المدينة تعج بأبشع صورها، وكان الصبي (مارتن) دائم البكاء لأن أقرانه البيض يكرهوه ولا يلعبون معه، وكانت الأمهات تمنعن أبناءهن من اللعب معه. ولكن الصبي بدأ يفهم الحياة، ويعرف السبب، ومع ذلك كان دائما يتذكر قول أمه "لا تدع هذا يؤثر عليك بل لا تدع هذا يجعلك تشعر أنك أقل من البيض فأنت لا تقل عن أي شخص آخر"

وبعد سنوات دخل كينج المدارس العامة في سنة 1935م، ثم مدرسة المعمل الخاص بجامعة أتلانتا ثم التحق بمدرسة "بوكر واشنطن"، وكان تفوقه على أقرانه سببا لالتحاقه بالجامعة في آخر عام 1942م، حيث درس بكلية مورهاوس التي ساعدت على توسيع مداركه.

وفي سنة 1947م عُين كمساعد في الكنيسة التى كان يعمل فيها أبيه، ثم حصل على درجة البكالوريوس في الآداب في سنة 1948م، وكان عمره يقل عن 19 عاما، وفي 25 شباط من نفس العام تمت سيامته كاهنا. وفي حزيران حصل على شهادة الاختصاص في علم الاجتماع. وفى ذلك الوقت التقى بفتاة زنجية تدعى "كوريتا

سكوت"، وتم زفافهما عام 1953م، ثم حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة بوسطن. وعاش مارتن لوثر كينج حياة شبه هادئة في الفترة التالية، في مدينة ماريون بولاية ألاباما (1953).

نقطة تحول

وفي سبتمبر سنة 1954 م، هاجر مارتن وزوجته إلى مدينة مونتجمري التي كانت ميدانا لنضال مارتن. وكان السود يعانون أقذر معاملة من اضطهاد واحتقار، خاصة فيما يلقونه من شركة خطوط أتوبيسات المدينة التي اشتهرت بإهانة عملائها من ركاب الزنوج، حيث كانت تخصص لهم المقاعد الخلفية، وعلي ذلك كان من حق السائق أن يأمر الركاب الزنوج بترك مقاعدهم لأى أبيض، فى سخرية من هؤلاء "النسانيس السوداء"! وكان على الركاب الزنوج دفع أجرة الركوب عند الباب الأمامي، ثم يهبطون من السيارة، ثم ينزلون ليعاودون الركوب من الباب الخلفي، فكان بعض السائقين يستغلون هذه الفرصة، ويقودون سياراتهم ليتركوا الركاب الزنوج فى الطريق!

استمر هذا الحال إلى أن جاء يوم الخميس أول ديسمبر 1955، حيث رفضت إحدى السيدات وهي حائكة زنجية أن تخلي مقعدها لراكب أبيض، فما كان من السائق إلا أن استدعى رجال البوليس الذين ألقوا القبض عليها بتهمة مخالفة القوانين؛ فكانت البداية.

كانت الأوضاع تنذر برد فعل عنيف يمكن أن يفجر شلالات بل وأنهار من الدماء لولا مارتن لوثر كينج الذى رسم للمقاومة طريقا آخر بعيداً عن الدماء. مقاومة "اللا عنف" أو"المقاومة السلبية"

وكان دائما يستشهد بقول السيد المسيح عليه السلام: "أحب أعداءك وأطلب الرحمة لمن يلعنونك، وأدع الله لأولئك الذين يسيئون معاملتك". وكانت حملته بداية حقبة جديدة في حياة الزنوج الأمريكان.

فكان النداء الأول المقاطعة التامة لشركة الأتوبيسات امتدت عاما كاملا مما أثر على إيراداتها، حيث كان الزنوج يمثلون 70٪ من ركاب خطوطها.

لم يكن هناك ما يدين مارتن حتى تم إلقاء القبض عليه بتهمة قيادة سيارته بسرعة 30 ميلا في الساعة في منطقة أقصى سرعة فيها 25 ميلا، ودخل السجن مع مجموعة من السكارى واللصوص والقتلة! وكان هذا أول اعتقال له أثر في حياته، حيث شاهد وعانى من أوضاع غير إنسانية، إلى أن تم الإفراج عنه بالضمان الشخصي.

وبعدها بأربعة أيام فقط، كان مارتن يخطب في أنصاره حين ألقيت قنبلة على منزله كاد يفقد بسببها زوجته وابنه، وحين وصل إلى منزله وجد جمعا غاضبا من الزنوج مسلحين على استعداد للانتقام، وأصبحت مونتجمري على حافة الاشتعال، فوقف كينج يخطب فى أنصاره: "دعوا الذعر جانبا، إننا لا ندعوإلى العنف".

وبعد أيام تم إلقاء القبض عليه هووجموعة من القادة البارزين بتهمة الاشتراك في مؤامرة لإعاقة العمل دون سبب قانوني، واستمر الاعتقال إلى أن قامت 4 من السيدات الزنجيات بتقديم طلب إلى المحكمة الإتحادية لإلغاء التفرقة في سيارات الأتوبيس في مونتجمري، حيث أصدرت المحكمة حكمها التاريخي الذي ينص على عدم قانونية هذه التفرقة العنصرية. وفى ساعتها طلب كينج من أتباعه أن ينهوا هذه المقاطعة ويعودوا إلى استخدام سيارات الأتوبيس "بتواضع ودون خيلاء"، وأفرج عنه لذلك.

وبعد أيام ظهر كتاب كينج الشهير "خطوة نحوالحرية: قصة مدينة مونتجمري ".

وفي السنة التالية (1959) قام كينج مع زوجته بزيارة إلى الهند حيث أمضيا فترة في دراسة أساليب غاندي في اللاعنف. وبعد عودته (1960) انتقل مجددا إلى مدينة أتلانتا حيث عمل مع والده في إدارة الكنيسة المعمدانية هناك. ولكن مذكرة توقيف صدرت بحقه بتهمة تزوير المستندات الضرائبية لعامي 1956 و1958 فاعتقل وحوكم وظهرت براءته من التهم الموجهة إليه. كما أدعي عليه بتهمة الجلوس في مكان عام لا يحق للسود الجلوس فيه واعتقل وسجن (1960).

في السجن الانفرادي

وبعد تولي "كيندي" منصب الرئاسة ضاعف كينج جهوده المتواصلة لإقحام الحكومة الإتحادية في الأزمة العنصرية، إلا أن كيندي

استطاع ببراعتة السياسية أن يتفادى كل ذلك وعدم وصف الحكومة بالعجز عن حسم تلك الأمور الحيوية.

لذا قرر كينج أواخر صيف عام 1962م، بدء سلسلة من المظاهرات في برمنجهام، وعمل على تعبئة الشعور الاجتماعي بمظاهرة رمزية في الطريق العام، وفي اليوم التالي وقعت أول معركة بين الزنوج المتظاهرين ورجال الشرطة البيض الذين اقتحموا صفوف المتظاهرين بالعصي والكلاب البوليسية، ثم صدر أمر قضائي بمنع كل أنواع الاحتجاج والمسيرات الجماعية وأعمال المقاطعة والاعتصام؛ وعلى هذا قرر كينج لأول مرة في حياته أن يتحدى علانية حكما صادرا من المحكمة، وسار خلفه ألف من المتظاهرين الذين كانوا يصيحون "حلت الحرية ببرمنجهام"، وألقي القبض على كينج وأودعوه سجنا انفراديا، حيث كتب خطابا صار فيما بعد من المراجع الهامة لحركة الحقوق المدنية، والتى أوضح فيه فلسفته التي تقوم على النضال في إطار من عدم العنف.

إيقاع الخصم في خطأ

وبعد خروجه بكفالة واصل قيادته للحركة، ثم تملكته فكرة تتلخص في هذا السؤال: ماذا نصنع بالأطفال؟ إلا أنه لم يتردد كثيرا فسمح لآلاف الأطفال بأخذ المواقع الأمامية في مواجهة رجال الشرطة والمطافئ وكلاب البوليس المتوحشة فارتكبت الشرطة خطأها الفاحش، واستخدمت القوة ضدهم، مما أثار حفيظة الملايين، وانتشرت

في أرجاء العالم صور كلاب البوليس وهي تنهش الأطفال، وبذلك نجح كينج في خلق الأزمة التي كان يريدها، ثم أعلن أنه على استعداد للتفاوض، تفاوض الأقوياء فلم يستطع البيض من سكان المدينة إلا التفاوض مع زعماء الزنوج، وبعد مفاوضات طويلة. تمت الموافقة على برنامج يتم تنفيذه على مراحل بهدف إلغاء التفرقة، والإفراج عن المتظاهرين، إلا أن دعاة التفرقة قد بادروا برمى القنابل على منازل قادة الزنوج؛ فاندفع الشباب الزنجي لمواجهة رجال الشرطة والمطافى، وحطموا عشرات السيارات، وأشعلوا النيران في بعض المتاجر، حتى اضطر الرئيس كنيدي لإعلان حالة الطوارئ في القوات المسلحة، وسارع كينج محاولا أن يهدئ من ثائرة المواطنين، وكان عزاؤه أن من اشتركوا في العنف ليسوا من الأعضاء النشطين المنتظمين في حركة برمنجهام، وبسرعة قام بجولة ناجحة في العديد من المدن والتى كشفت عن مصدر لبركان آخر يغلي تحت تأثير مائة عام من الاضطهاد.

الحلم.. والثورة

تلقى زنوج أمريكا درسهم من الأحداث العظام فقاموا في عام 1963م بثورة لم يسبق لها مثيل في قوتها اشترك فيها 250 ألف شخص، منهم نحو60 ألفا من البيض متجهة صوب نصب نيلكولن التذكاري، فكانت أكبر مظاهرة في تاريخ أمريكا، وهنالك ألقى كينج أروع خطبه: "أنا أحلم" التي قال فيها: "إنني أحلم اليوم بأن أطفالي الأربعة سيعيشون يوما في شعب لا يكون فيه الحكم على الناس

بألوان جلودهم، ولكن بما تنطوي عليه أخلاقهم"

ووصف كينج المتظاهرين كما لوكانوا قد اجتمعوا لاقتضاء دين مستحق لهم، ولم تفى أمريكا بسداده "فبدلا من أن تفي بشرف بما تعهدت به أعطت أمريكا الزنوج شيكا بدون رصيد، شيكا أعيد وقد كَتب عليه "إن الرصيد لا يكفي لصرفه"

فدقت القلوب وارتجفت، بينما أبت نواقيس الحرية أن تدق بعد، فما أن مضت ثمانية عشر يوما حتى صُعق مارتن لوثر كينج وملايين غيره من الأمريكيين بحادث وحشي، إذ ألقيت قنبلة على الكنيسة المعمدانية التي كانت وقتذاك زاخرة بتلاميذ يوم الأحد من الزنوج؛ فهرع كينج مرة أخرى إلى مدينة برمنجهام، وكان له الفضل في تفادي انفجار العنف.

جائزة نوبل

وبفضل سياسته العظيمة وفي العام نفسه أطلقت مجلة "تايم" على كينج لقب "رجل العام" فكان أول زنجي يمنح هذا اللقب، ثم حصل في عام 1964 على جائزة نوبل للسلام لدعوته إلى اللاعنف، فكان بذلك أصغر رجل في التاريخ يفوز بهذه الجائزة (35 عاما). ولم يتوقف عن مناقشة قضايا الفقر للزنوج وعمل على الدعوة إلى إعادة توزيع الدخول بشكل عادل إذ انتشرت البطالة بين الزنوج، فضلا عن الهزيمة السنوية التي يلقاها الزنوج على أيدي محصلي الضرائب والهزيمة الشهرية على أيدي شركة التمويل والهزيمة الأسبوعية على

أيدي الجزار والخباز، ثم الهزائم اليومية التي تتمثل في الحوائط المنهارة والأدوات الصحية الفاسدة والجرذان والصراصير والبق وما لا يعرف له اسم!!

مكتبة الرمحي أحمد

الاغتيال

وفي 14 فبراير 1968 اغتيلت أحلام مارتن لوثر كينج ببندقية أحد المتعصبين البيض ويدعى (جيمس إرل راي) وكان قبل موته يتأهب لقيادة مسيرة زنجية في ممفيس لتأييد إضراب (جامعي النفايات) الذي كاد يتفجر في مائة مدينة أمريكية.

وقد حكم على القاتل بالسجن 99 عاما، غير أن التحقيقات أشارت إلى احتمال كون الاغتيال كان مدبرا، وأن جيمس ما هوإلا مجرد أداة!

كل ذلك ليس كافياً بل تعالوا أيها الأحباب نقرأ فى تعمق حياة ذلك الرجل الذى أثار احترام العالم.

مقدمة الكاتب

ما من شك في أن البشر قد مارسوا التمييز العنصري منذ "اجتماعهم" في كيانات سياسية مختلطة. والعرق الأسود كان أكثر من تعرض أفراده لهذا التمييز عبر العصور. ولكن القرن العشرين شهد حالتين من التمييز العنصري فى، الولايات المتحدة الأميركية وجنوب إفريقيا.

إن مشكلة الزنوج فى أمريكا إنما يرجع عهدها إلى ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية: فالشمال المنتصر فى هذه الحرب فرض على الجنوب المعدوم المنهزم، نظام احتلال عسكرى مع الضغوط الإقتصادية الرهيبة التى تم فرضها على هؤلاء الزنوج فى غير حكمة أوروبة، ولعل نهب المغامرين الشماليين الذين كانوا يأتون إليه وليس على أكتافهم سوى قطعه من القماش بها زادهم، ثم يعودون إلى حيث أتوا بأغنام وفيرة. لا حصر لها.

نعم من الأكيد أن هؤلاء الزنوج السود والذين جاءوا إلى أمريكا كانوا من أصل إفريقى، حيث كانوا يُباعون كالسلعة من خلال تجارة الرقيق، ويستخدمون فيما يُستخدم الحيوان.

لقد رأيت أنه من الأفضل وقبل أن نخوض سطور مشكلة

الزنوج فى أمريكا، أن نعرض أهم ثلاث عبارات يجب التعريف بها والتمييز بينها، وهى:

1ـ segregation وهى تعنى إجبار فئة معينة من المجتمع على أن تعيش فى عزلة عن باقى فئات المجتمع الأخرى، فى أن تكون لهذه الفئة المستشفيات والمدارس الخاصة وأن تكون لها أيضاً الفنادق والأحياء المزرية التى تعيش فيها، وغير ذلك من مرافق الحياة، علماً بأن هذه الفئة تتمتع بالحقوق التى تتمتع بها الفئات الأخرى، ولكن بصورة نظرية، وهذا ما نسميه فى التشريع بكلمة: متساوون ولكن مختلفون.

2ـ discrimination وهى عبارة تضاف إلى العبارة الأولى، مع فارق واحد، وهوأن لا مساواة بين المختلفين.

3ـ antimiscegenation وتعنى منع التزاوج بين العنصر الأبيض والعناصر الملونة.

هذه العبارات الثلاث طُبقت على الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية وعلى غيرهم من الاقليات العنصرية.

إن تعريف الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية بذلك الوضع السيىء معقد، كما أنه يختلف من ولايه لأخرى. كيف؟ فقد يكون هناك أحد الأفراد أبيض، ولكن يُعد فى ولاية ما حسب قانون هذه الولايه "أسود" فى حين يكون فى قانون ولاية أخرى أبيض. ذلك كله إن دل فما يدل إلا على أن هناك قاعدة بيولوجية غاية التعقيد وهلم جرا...

وكلمة "زنجى" تعنى هذه العناصر الملونة التى يدخل فى تركيبها الجنس والدم الزنجى، والذين جاءوا من خلال تجارة الرقيق، لتوفير الأيدى العاملة فى كافة الأعمال الشاقة التى لا يحتملها البيض وصاروا كالعبيد فى وطن جديد. قام هوولا غيره ببناء وطن عملاق أهدر حقه على مدى الأعوام التى عاشوها.

وفى خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كان الزنوج موزعين على طول السهل الساحلى الذى يشرف على المحيط الأطلسى، إلا أنهم ومع مرور الوقت يتجمعون فى الولايات الجنوبية.

وفى أوائل القرن التاسع عشر بدأت المقاطعات الشمالية فى تحرير عبيدها، بعد أن إتخذت خطوات أساسية تضمن لها القضاء على هذا النظام الفاسد الذى يجعل جماعة من الناس سادة وأخرى من العبيد.

ولعل قصة الزنوج فى أمريكا قصة سيذكرها التاريخ مقرونة بصيف عام 1963م. حين بدأت ثورة 19. ولكن كيف نبتت تلك الثورة ومن أين بدأت؟ نبعت من نهر بعيد يجرى فى عالم غريب عن معظم الأمريكيين، لا يعرفون عنه أكثر مما يعرف سكان الأرض عن الجانب المظلم من للقمر.

كيف بدأت القصة وكيف بدأت ومتى قامت ولماذا..؟؟

الكاتب

مقدمة الكتاب

في مطلع عام 1963م ميلادية. كانت الحياة لا تتسع للملونين، الزنجى لا وجود له. وها هنا أرى أمامى فتي زنجي صغير جالس على بسطة من الطوب اللبن، أمام منزل موبوء ملىء بالحشرات في ضاحية هارلم، وتفوح من داخله رائحة القمامة على بُعد أميال إلى خارجه. فلا يقترب منه إلا الغربان وغيرها من الطيور آكلة الجيف والحشرات، وحيث يعيش في مجتمع ينتشر فيه السكارى، والمدمنين، والعاطلين، والمتسكعين، حيث تكون غالبية التلاميذ في المدارس من الزنوج، ومعهم عدد قليل من أهالي بورتوريكا. وكان الفتى الزنجى والده عاطل لا يعمل، وأمه خادم' فى البيوت، حيث تبيت بمنزل من تخدمهم في جزيرة لونج آيلاند.

كذلك أمامي أيضاً فتاة زنجية صغيرة جالسة على قرمة أمام منزل خشبي لعائلة تعيش بمفردها في مدينة برمنجهام، فى منزل يُطلق عليه بعض الزائرين اسم الكوخ وهومنزل في أَمَسِ الحاجة إلي الطلاء. خوفاً من إنهيار سقفه من وقت لآخر. المنزل الذى يعيش فيه ستة أطفال تكسوهم الملابس البالية وكأنهم عُراة، وهم يلعبون حُفاة بأجسامهم النحيلة، وقد أجبرت الظروف مثل هذه الفتاة الصغيرة

على أن تقوم بدور الأم لإخوتها، ومن ثم لم يعد في مقدرتها أن تحضر دروس مدرسة الزنوج في حيها، ذلك لأن أمها قد توفيت منذ وقت قريب بسبب إصابتها في حادث سيارة.

ويقول الجيران إنه لولم تتأخر سيارة الإسعاف في الحضور لنقلها إلي مستشفي الزنوج، لظلت علي قيد الحياة للآن. أما أبوالفتاة فكان يعمل حمالاً في أحد المحال التجارية، وسيظل في هذه الوظيفة أبداً، لأن الترقيات لا تُطبق علي الزنوج خاصة في هذه المحال، والأغرب أنه يستطيع أن يشتري أي سلعة منه، فيما عدا الطعام والشراب.

إن هذا الفتي وتلك الفتاة اللذين تفصل بينهما الأميال الشاسعة ليتسا.لان نفس السؤال، لماذا يلازم البؤس والحرمان طائفة الزنوج خاصة، تري هل حدث في الماضي البعيد أن فعل آباؤهم عملاً سيئا؟ مما جعل اللعنة تحل بهم؟ أم يا تري هل تهاونوا في أداء واجبهم كمواطنين، أم خانوا بلادهم، أم تنكروا لمسقط رأسهم؟ أم هل كانوا جبناء وقد امتنعوا عن الدفاع عن بلادهم ضد أي عدوان أجنبي؟

إن المؤلف الأبيض للتاريخ الذى يقرأه الأطفال الزنوج، والمُدون في الكتب التي توزع علي هؤلاء الأطفال الزنوج في هارلم وبرمنجهام، قد تعمد إسقاط حقيقة ما، هذه الحقيقة يعرفها ذلك الصبي وتلك الفتاة، حيث يعرفان شيئاً معيناً عن الجزء الذي أسقطه هذا المؤلف الأبيض عمداً من كتاب التاريخ الذي هوفي أيديهم. نعم، إنهما يعلمان أن الزنوج قاتلوا في صفوف جورج واشنطن في معركة فالي فورج، حيث إنهم يعلمان أن أول أمريكي سفكت دماؤه في أثناء الثورة التي حررت بلاده من الإضهاد البريطاني، كان بحاراً زنجياً

يسمي "كريسبوس آتوكس" لقد قال المدرس بمدرسة الأحد، وكذلك كان أحد أفراد الفريق الذي عمل على إقامة عاصمة البلاد: واشنطن دي سي، كان يسمي "بنجامين بانيكير" وكان هوالآخر زنجياً. وعندما جاء أحد المحاضرين إلي مدرسة الفتاة في أثناء أسبوع دراسة التاريخ الخاص بالزنوج سمعته وهويقول:

إن الزنوج عملوا دون الحصول على أجر لمدة مائتي عام، حيث قد جئ بهم إلي أمريكا على سفن القراصنة وهم مكبلون بالسلاسل، وقد قاموا بتجفيف المستنقعات، وبناء المنازل، وزراعة القطن، وإنهم ساعدوا على إقامة الدولة الأمريكية - والسوط يلهب ظهورهم، وحرارة الشمس تطهوا جلودهم - وهم بهذا قد قاموا على رفع شأن البلاد من مستعمرة منسية مجهولة إلي دولة ذات كيان وسلطان في شؤون التجارة والمعاملات العالمية.

وحيثما كان العمل الشاق فى أى مكان، حيث العمل الذي يثير القرف، والعمل الخطر - سواء كان هذا في المناجم، أوالمواني، أوفي المصانع، حيثما كان هذا هوالمطلوب - فإن الزنجي يقوم بأكثر من طاقته في إنجازه.

إن كتب هارلم وبرمنجهام الباهتة المعالم، تحكى تاريخ كفاح الشعب ضد الرق والعبودية، حيث تذكر أن أول وثيقة وقعها إبراهام لنكولن، والتى أصبحت تسمي بإعلان التحرير من الرق والعبودية.

وقد انتهت الحرب بالنصر، إلا أن السلام والعدالة لم يطبقا بعد، والمساواة لا أثر لها. نعم، لقد تأخرت المساواة ما يقرب لمائة عام حتى الآن.

وهذا الصبي وتلك الفتاة يعلمان أكثر مما ذكره التاريخ. إنهما يعلمان الكثير عن الأحداث الجارية. يعلمان أن الشعوب الإفريقية نفضت أغلال الاستعمار.

ويعلمان أيضاً أنه من المتحمل أن يقوم البيض بطرد أحد أحفاد كريسبوس أتكس من المطاعم الخاصة بهم، أومن أحد الأحياء المحظورة على السود، حتي وإن كان يرتدي لباس جنود بحرية الولايات المتحدة. وأنهما يعلمان أن الزنوج الذين يقيمون في عاصمة البلاد لا يستطيعون أن يغادروا مناطق الحظر التي يقيمون بها، ولا أن يحصلوا على عمل خارجها، حتى وإن كانوا مؤهلين لذلك، بل وإنهما يعلمان أن العنصرين المسيطرين من البيض قد تحدوا محكمة القضاء العالي، وأن حكام الجنوب قد حاولوا أن يتدخلوا بين الشعب وبين أعلي هيئة قانونية في البلاد. كما أنهما يعلمان أنه ولعدة سنوات قد كسب المحامون لصالحهم قضايا كثيرة لم ينفذ منها شئ.

قد كانا يريان على شاشة التلفاز، ويسمعان بالراديو، ويقرآن في الجرائد أخبار الاحتفال بمرور العيد المئوي لتحرير الزنوج.

لكن قد كانت حريتهم تلك لها صدي مكتوم وفراغ ساحر لا سحر له، إذ كانا يلاحظان رغم سنهما الصغيرة أن سيارات الأتوبيس قد توقفت عن المسير في مونتجمري ، وأن المعتصمين جلوساً ولا ضرر منهم يُقبض عليهم، حيث يودعون فى السجن ويضربون ويُهانون وكأنهم ليسوا من البشر، وأن الذين يركبون السيارات الخاصة بالبيض يعتدي عليهم ويرجمون، وحتى الكلاب في برمنجهام تكشر عن أنيابها إذا رأت أحداً من السود، وأن في كل

المدن بروكلين، ونيويورك، توجد هناك أعمال كثيرة لإقامة المباني لكنها خاصة بالبيض فقط.

وجاء صيف عام 1963م، فهل كان التحرير - أي تحرير الزنوج - هل كان حقيقة قائمة؟ وهل كانت حريتهم تتسم بالقوة والصبر؟

وهكذا انتصب فتي هارلم واقفاً، وقامت الفتاة كذلك. ومن بعد العناء والتعب، قد توجها واعتدلا ورفعاً أعينهما إلي السماء، وعبر تلك الأميال الطويلة التى تفصل بينهما، قد تصافحا وتقدماً بثبات إلي الأمام خطوة، وكانت الخطوة التى هزت أغنى وأعتى أمة في العالم من جذورها وأساسها.

تلك هي قصة الفتى والفتاة الزنجيين، وتلك هي القصة التي من أجلها لا نستطيع أن نتعلم الصبر والتي من أجلها قد نفد صبرنا.

مارتن لوثر كنج [الابن]

الفصل الأول

ثورة الزنوج

إمتد البرد القارص في عام 1962، حيث احتوي الشهور الأولي من العام التالي، وكساً الأرض بالصقيع والبرد والثلج، إلي أن حل فصل الربيع وهدوئه. حيث ترقب الأمريكيون مجىء صيفٍ هادئٍ وممتع يدق الأبواب الأمريكية.

لم يراود الأمريكيين الشك أبداً في أن الصيف سيكون ممتعاً، فليست هناك تبعات تشغل البال، بجانب أن مستقبل الشعب الأمريكي مستقر وراسخ مثل البيت الأبيض، فالحكومة تنوي خفض الضرائب، وأن المعاملات المالية والعمالة أصبحت على مستوي مرض للجميع، وأن غالبية الأمريكيين يعيشون في أمن ورخاء ملموس. ثم جاء الصيف وكان الطقس جميلاً رائعاً، ولكن المناخ الاجتماعي للحياة الأمريكية قد تفجر عن ومضات خاطفة سريعة، حيث اهتزت أركانه برعد وبرق قاصف حتى انهمرت من كل جانب أمريكي أمطار الاحتجاجات المتلاحقة وفي ثورة عارمة شديدة تفجرت الثورة الأمريكية الثالثة: ثورة الزنوج.

ولأول مرة في تاريخ البلاد المتقلب، قد تحول الرخاء، والصيف الهادىء المستقر إلى أمطار ثورة عارمة من كل جانب. وقد اشتبكت حوالي ألف مدينة في خوض غمار الاضطرابات الأهلية سراً، حتى باتت هذه الاضطرابات تغلي وهي وشيكة الانفجار. ومثلما حدث في أثناء الثورة الفرنسية في عام 1789م، وفي الاضطرابات التي اجتاحت إنجلترا أثناء حركة الدستور في عام 1830م، والتى أدت فى كل منهما إلى تحول الشوارع إلي ساحات قتال واضطراب. وكما حدث خلال هاتين الثورتين، قامت مجموعة من الشعب الأمريكي تدفعها رغبة ملحة في طلب العدالة، وقد نهضت بسرعة مفاجئة، وتقدمت بحزم وشدة، غير مدركة بالمخاطر والمجازفات التى تقوم بها، وقد أثارت جوا من التمرد على النظام الاجتماعى، فكان من شدة قوته أن زعزع وحدة المجتمع الأمريكي الضخم من فوق القاعدة الوثيرة التي كان مستقراً عليها. وكأنه قد قطع أطرافه كرجل واحد، خلع نفسه من الثوب الأبيض.

لم يحدث إطلاقاً في حياة التاريخ الأمريكى، أن لجأت الجماهير إلي الشوارع والأزقة والميادين، واقتحمت بيوت المال من البنوك وغيرها، بل وحطمت المباني الحكومبة ذات الجدران الرخامية، كل ذلك كى يعبروا عن احتياجاتهم وشعورهم بالضيق والظلم الذين يعيشون فيه، وتحت ناره. ولوأن آلات المصانع الهائلة تحولت إلي أجسام آلية، وخرجت من مصانعها، لخرجت من بين جنباتها المسامير والصواميل، بل ومفاتيحها متطلعة إلى التمرد بطول البلاد وعرضها. لوأن هذا كله حدث، لما كانت دهشة الشعب بل والشعوب لهدف أسمى وأعلى..

فبلا شك أن الزنجي كانت جروحه النفسية عميقة الأثر، وكان موضع إشفاق، ولا شك أن كل ذلك أثر علي الطابع الأبيض، ومع ذلك اعتاد البيض أن يعتبروا الزنجى مخلوقاً ذا قدرات فهويستطيع أن يتحمل الظلم بهدوء، ويتألم في صمت، وينتظر صابراً على بلواه..فهومخلوقاً دُرِبَ جيداً على الخدمة والطاعة العمياء، فليس له الحق المشروع في أن يدافع أويجادل سيده مهما كان استفزاز الغير له.

كان حال ثورة الزنوج، التى ولدت فى هدوء، كالصاعقة لا يسمع لها صوت إلا عندما تنقض على الأرض.. ولكنها عندما لامست هواء وسطح الأرض انفجرت. فكان لقوتها وشدتها وسرعتها ومدي الجدية التي نبعت من أجلها رد فعل سريع ومُخيف.. لأن ثلاثة مائة عام قضاها شعب يعانى من الإذلال والحرمان، لا يمكن أن يعبر عنها بالهمس بل بالتفاعل مع الأحداث وملامستها، ولم تتحول السُحب والغيوم إلي رذاذ رقيق حان عندما قامت الزوبعة، بل تحولت إلي دوامة شديدة الصخب.. ولم تستنفد كل طاقتها بعد.

ونظراً لأن العد التنازلى قد اقترب بالمزيد من الأحداث، فإن الشعب الأمريكي قد أصبح مذعوراً من ثورة الزنوج.. وما تنطوي عليه هذه المشكلة من معان عميقة وتغيرات فى الطبقات الاجتماعية والكثير من المشكلات بعيدة المدى، والتى تنبض من أجلها قلوب عشرين مليون زنجي، لذلك يجب أن نفهم أولاً وبوضوح حقيقة التاريخ الذي نحياه اليوم.

يروى "مارتن لوثر كنج":

منذ بضع سنوات، وذات يوم كنت أنا جالساً في أحد المحال التجارية، ومن حولي المئات من الأهالي أوقع لهم على نسخ من كتابي "خطوة نحوالحرية" "Stride Toward Freedom" عن مقاطعة الزنوج لخط أتوبيس مونتجمري في عام 1956/1955م. وبينما أنا مشغول بالكتابة، شعرت فجأة بأداة حادة تنفذ إلي صدري. وكانت الطعنة من سيدة "بمدية" وهى التى تُستَعمل في فتح الخطابات، وكان حكم القضاء فيما بعد بأن هذه السيدة مصابة بلوثة، ونقلت عقب الحادث فوراً إلي مستشفي هارلم، حيث بقيت راقداً لعدة ساعات، إلي أن يتم الإعداد لإجراء العملية ونزع المدية من جسدي. وبعد مضي عدة أيام، عندما أصبحت قادراً على الكلام، فهمت من الدكتور "أوبري مينارد" كبير الجراحين الذي أجري لي تلك العملية الدقية الخطيرة، أن السبب في تأخير البدء بالعملية فوراً، يرجع إلي أن طرف المدية كان ملامساً لشريان الأورطة، وكان على الطبيب أن يشق صدري كله ليستخرج المدية. وقال الجراح: "لوأنك عطست مرة واحدة في أثناء ساعات الانتظار تلك لتمزق شريانك وغرقت في بحر من الدماء"

وفي عام 1963م، كانت مدينة العنف وثورتها تكاد أن تُلامس شريان الأورطي للأمة كلها وتكاد تفجره، والحق أنه لولا التدخلات والعمليات السريعة التي قامت بها بعض القوي المعينة والتى مكنت الجراحين السياسيين من الفُرص العديدة لإنهاء هذه الفتنة القاتلة بشجاعة وحزم وكذلك إزالة المخاوف المسببة، لمئات المدن الغارقة في أحزانها تبكي ضحاياها بعد تلك الثورة.

لماذا قامت الثورة في 1963م بالذات؟

لقد تحمل الزنوج الأذى لعشرات من السنين. وعلى حد قول الشاعر:

طالما سأل الزنوج أنفسهم،

"لماذا تتراكم ظلمات الليل في أفواهنا؟

لماذا نشعر دوماً بالغضاضة تسري في دمائنا؟"

إن كل الأوقات والظروف التى تقوم فيها أى ثورة فى ظروف كهذه، يُعتبر وقتاً ملائماً، لكن السؤال لماذا كانت دقات القلوب قد دقت في عام 1963م بالذات، لماذا انتفضت آلاف من المدن واحدة تلوالأخرى، ولماذا أمسك العالم بأنفاسه مشدوها، سواء كان في العواصم المتألقة، أوكان ذلك في أكواخ اللبن بالقرى؟ لماذا اختار الزنجي الأمريكي تلك الشهور على وجه التحديد؟ ذلك الزنجي الذي تجاهله المجتمع ونبذه خارج صفحات التاريخ على مر السنين. ما الذي دفع به إلي النداء بحريته في مظاهرات أثارت العديد من الصُحف، والمجلات، والتلفزيون؟ نعم لقد قام الزنوج عن بكرة أبيهم مرة واحدة، وبلا استثناء، أغلقت الطاهية مطبخها وخرجت إلي الطريق، ودفع "جون" باب مصعده والتحق بالمتظاهرين. وشد "بيل" فرامل اللوري وانطلق نحوبني جنسة، وقام القس آرثر (الزنجي) بالمصلين عبر الطريق، وشارك الجميع من مختلف الحرف والمهن وعندما تم القبض عليهم أقام القس كذلك الصلاة في السجن.. حتى الجرائد وقفت على الأحداث وأبعدت عن صفحاتها الأولي مقالات

رجال السياسة المرموقين، وأنباء البرلمانات، والملوك، ورؤساء الوزارات، وممثلي السينما، ومشاهير الرياضيين، لتحل محلها أخبار الخدم الزنوج، وسائقي السيارات، وعمال المصاعد، ورجال الدين. لماذا حدث كل هذا في عام 1963م؟ وما علاقة تلك الأحداث بذلك الخطر الذي خيم على أنحاء البلاد؟

لقد أحس الزنوج بخيبة آمالهم، بسبب تواني الحكومات في إلغاء التفرقة العنصرية بين أبناء المدارس. ولقد كان الزنوج يعلمون أن محكمة القضاء العالي أصدرت في عام 1954م قرارها لوضع حد للتفرقة العنصرية بالمدارس "على وجه السرعة" وكان الزنوج يعلمون أيضاً أن هذا القرار قد رُوعي تطبيقه "بمنتهى التباطؤ" ففي عام 1963م، أي بعد صدور هذا القرار التاريخي بتسع سنوات كان عدد الأطفال الزنوج الملحقين بالمدارس التي أدمجت بين السود والبيض قد لا يتعدى 9٪ من مجموع التلاميذ. فإذا سارت الأمور على هذا المنوال، فلن يتحقق الإدماج بالمدارس قبل عام 2054.

إن صيغة القرار نفسها تدل على أن المحكمة تدرك جيداً أن ذلك سيقابل بمحاولات عدة لعرقلة تطبيقه. فعبارة "على وجه السرعة" لا تعنى إطلاقاً أنه يجب علينا أن نصبر مئة عام قبل أن يتاح لأطفالنا الصغار أن يتخلصوا من مدارس الحظر أوالحظائر، بل إن ذلك يعنى أنه يجب على الديمقراطية أن تتوخي الكياسة ومراعاة شعور البشر، وأن تسير قدماً بعيداً عن الجهل والتعصب نحوحاضر يهيئ الفرصة للجميع الاندماج فى التعليم والحياة الكريمة الحرة. بل والمشتركة.

ومع ذلك فإن الإحصائيات تثبت بوضوح أن العُنصرين من أهالي الجنوب لم يرضخوا لهذا القرار بل تلقوه في كل أنحاء المنطقة بتصريحات تنم عن التحدي وعن تمسكهم بالحالة الراهنة واعتبروا هذا القرار مهانة لكرامتكم. وبعد أن هدأت ثورة غضبهم قاموا بحركة هجومية ليفرضوا تنفيذ القرار على طريقتهم الخاصة التى يرونها. وكان من نتيجة ذلك أن 2٪ فقط من أطفال الزنوج التحقوا بمدارس الإدماج في أغلب الأماكن، وحتى هذه النسبة الضئيلة هبطت إلي 1٪ في المناطق النائية بالجنوب.

وثمة عامل آخر تسبب في بطء عملية إدماج المدارس، عامل لم ينظر إليه إلا القليلون ولم يفهمه إلا عدد معدود من الأفراد، ذلك أنه بعد صدور القرار في عام 1954، تراجعت المحكمة العليا عن موقفها إذ أصدرت قانون "توزيع التلاميذ على المدارس" الذي يخول لكل ولاية الحق في تحديد الطريقة التي ترغب في إتباعها عند توزيع التلاميذ على أساس قواعد وإمكانيات معينة منها مراعاة مستوي الأسرة، والمهارات الخاصة، إلي غير ذلك من شروط التقييم. وفي الواقع كان لقانون التوزيع هذا أثر عكسي بالغ المدى والخطورة في تشكيل مدارس الإدماج والحد من عددها، والذى يكاد أن يتساوى عملياً مع مبدأ القضاء على العنصرية. وهكذا جعلت محكمة القضاء العالي من القانون صورة رمزية للعدالة وبالتالي ضمنت بقاء العنصرية فعلا حتى وإن كانت ملغاة رسمياً.

ولكي ندرك مدي خيبة الأمل التي انتابت الزنوج في عام 1963م يجب أن نفحص الأحاسيس المتضاربة التي ساورتهم عند صدور هذا

القرار الأول وخلال السنوات التسع التي تلت ذلك. بل ويجب أن نلمس حالة البلبة النفسية التي عاشوها وهم يتأرجحون بين شعورهم بالبهجة والآمال البراقة، وبين إحساسهم بالخيبة للفشل في تحقيق تلك الآمال.

يأس الزنوج

أما العامل الثاني الذي أدي إلي تفجير الحالة في عام 1963م، فترجع أسبابه إلي يأس الزنوج من مساندة الحزبين السياسيين[1] ففي عام 1960، وأثناء الحملة الانتخابية لرياسة الجمهورية أصدر الحزب الديمقراطي في لوسٍ أنجلوس تصريحاً رناناً دافع فيه عن الحقوق المدنية وصرح مرارا وتكرارا بضرورة تدخل رئيس الحكومة لتنفيذها. وفي شيكاغووعد الحزب الجمهوري باحترام تلك الحقوق وأسرف في تعهداته على الرغم من أن مرشح الحزب لم يكلف نفسه مشقة إقناع مرشحه أنه سيحقق له وعوده.

ومرت الأيام بعامي 1962.1961م دون أن يقوم أحد الحزبين بأي إجراء حاسم. وقد كان الوئام سائدا في الكونجرس بين أعضاء الجنوب المتزمتين وبين الديموقراطيين، وبدأ الزنوج يشعرون أن الدولة أسرفت في تبسيط مشكلة الحقوق المدنية ولم تقدرها حق قدرها. ورغم أن الرئيس كنيدي لم يتخل عن وعده بتطبيق تلك الحقوق - وكان وعده هذا من الشروط الرئيسية التي قامت عليها حملته

[1] الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري.

الانتخابية - إلا أنه من جهة أخري لم يقم بعمل فعال لإنجاز ذلك الوعد ، فقد كان فى أستطاعته مثلا - وبجرة قلمٍ - أن يلغي التمييز العنصري في سياسة الإسكان لكنه لم يصدر قرارا بهذا الشأن إلا بعد مضي عامين على انتخابه رئيساً للجمهورية. وجاء القرار هزيلاً في جوهرة على الرغم من صياغته بلباقة، إذ إنه لم يشمل تلك البنود الخاصة بتمويل البنوك والهيئات المعنية حتى يمكن تنفيذه.

ورغم أنه أسندت مراكز رئيسية وكبرى قيادية لبعض الزنوج ودُعي بعض قادتهم إلي البيت الأبيض حيث استقبلوا بالترحاب، لكن أحلام الكثيرين من الجماهير السود قد بقيت قلقة، حتى أدرك الزنجي أنه ما زال يلعق نفس العظمة التي كانت تلقي إليه من قبل هوورفاقه لكن مع فارق بسيط، فهي في هذه المرة تقدم إليه بكياسة على صينية، بدلاً من أن تلقى إليه على الأرض.

ففي أول الأمر استطاعت الحكومة أن تُعالج مشكلة التفرقة العنصرية في الجنوب ببحث سلسلة من القضايا التى قد سبق وأن أقيمت أساساً لحماية حق هذا الزنجي في الانتخاب، وما له من حق شرعى، لكن الأنانية ومقاومة البيض بدأت تتجمع نحوأي نشاط نقوم به لمناهضة العنصرية. فكلما قدمنا احتجاجاً جديداً كانوا يقابلوننا بالنصائح والإرشاد - إما علناً وإما بصفة شخصية - ليجعلوا كل مساعينا هباء، وتوجيه كل طاقاتنا حول قيد اسمائنا بكشوف الانتخابات. وكنا في كل مرة نعترف بأهمية حق التصويت، كما كنا نشرح في صبر وتأنى أن الزنوج لا يوافقون على إهمال كافة حقوقهم الأخرى وتركيز اهتمامهم حول حق واحد فقط.

وأصبح الآن واضحاً أن أولي الأمر لم يقنعوا بوجهة نظرنا وإننا، نحن الآخرين لم نأخذ بآرائهم. فالزنوج سبق وأن أعربوا عن إيمانهم بالهيئة الحاكمة عندما حشدوا أغلبية ملموسة من الناخبين ساعدت في ترجيح كفة الانتخابات لصالح الرئيس كنيدي، وكانوا بالتالي يتوقعون أن يساندهم بدوره بل ويعطيهم ولو بعض حقوقهم، أكثر من سابقيه من الحكام.

ومع ذلك قد ظهر لهم أن رجال الحكومة الجديدة يعتقدون أنهم قد فعلوا كل ما كان عليهم من التزامات سياسية عندما أعلنوا موقفهم الإيجابي تجاه الزنوج. وقد يكون هذا المنطق طبيعياً بالنسبة لرجال السياسة، لكن كم من الناس ياترى قد أدركوا أنه خلال العامين الأولين من حكم الرئيس كنيدي تمسك الزنوج بالحصول على حقهم "في الحال" يتساوى من حيث الإصرار والتحفز مع مقاومة العنصرين لهم بقولهم "أبداً". ولا يفوتنى أن أذكر هنا أن الرئيس كنيدي كان قد قرر فى آخر الأمر أن يُنحي هذه الاعتبارات السياسية جانباً وينهض للوفاء بالتزاماته الأدبية تجاه الزنوج... لكن ذلك لم يكن معلوماً في ذاك الوقت.

صورة الزنوج والأحداث الدولية

إن بحث العوامل التي أثرت في تفكير الملونين في عام 1963م لا يستكمل صورته إلا إذا عرفنا وفهمنا الصلة التي تربط بين صورة الزنوج والأحداث الدولية التي عاصرتها. ففي أثناء تقلبات الحرب

الباردة لاحظ الزنوج كيف أوشكت بلادهم أن تتردي أكثر من مرة في حرب نووية، ولاحظوا كذلك أن حكومة بلادهم كانت تفسر استعداداتها النووية تلك بأنها ستذهب إلي أقصي حد دفاعاً عن الحرية... ولوأدي ذلك إلي المجازفة بهلاك البشرية. ومع ذلك كان هذا التصرف البطولي للدفاع عن الحرية يتلاشى تماماً ويصبح مأساة هزيلة عندما يتعلق الأمر بالأحداث التي تقع داخل البلاد والتي تتعلق بحرية الملونين. ورغم أن الزنجي ليس على درجة من الأنانية بحيث ينعزل بالتفكير في مشاكله متجاملاً بتطورات الأحداث العالمية، إلا أنه كان يشعر بمرارة وأسى عندما يري بلاده وهي تدافع عن الحرية في بلاد أجنبية وتفشل في ضمان تلك الحرية لعشرين مليون نسمة من أبناء مواطنيها السود.

وتعلم الزنجى من الدول الغريبة وكيف كانت تدافع عن حريتها، فاستلهم قوته من هذه القوة الخارجية، قوة جديدة من وراء حدود بلاده فقد راقب دول أسيا وأفريقيا وهي تتحرر وتتخلص من الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية. وكان يعلم أن شعوباً من ذوي البشرة الصفراء والسوداء يعتبرون الزنجي الأمريكي خانعاً "جباناً" يرفض أن يلجأ إلي العنف في سبيل الحصول على حريته. ولعله تذكر ما حدث عندما قام أحد رؤساء الدول الإفريقية بزيارة الولايات المتحدة واستقبل وفداً من كبار الزنوج الأمريكيين وعندما بدأ هؤلاء بسرد شكواهم إليه لوح بيديه بملل وأجاب "إني ملم بالأحداث الجارية حالياً وأعلم جيداً كل ما تقولون لى عن معاملة الرجل الأبيض للزنجي. ولكن دعوني أسالكم: ماذا فعل الزنجي

لخدمة قضيته؟"

كان الزنجي يري البلاد الأصلية التي اختطف منها بالقوة والجبروت. هذه البلاد تسير قدماً في عالم السياسة نحوالتحرر والاستقلال. وهويعلم أنه ومنذ ثلاثين عاماً مضت لم يكن في إفريقيا كلها إلا ثلاث دول مستقلة، وكان يعلم أن في عام 1963م سوف تتحرر أربع وتسعون دولة إفريقية من نير الاستعمار، كل ذلك والزنجي يرى العديد من الرؤساء الملونين وهم يدلون بأصواتهم في جلسات الأمم المتحدة لتقرير مسائل حيوية هامة. بينما لا يُصرح له هوبحق التوجه لصندوق الانتخاب في كثير من المدن في وطنه التى يعيش على أرضها. وها هويري ملوكاً وحكاماً من السود يحكمون أوطانهم من قصورهم بينما ينتقل هومن حصار إلي حصار اجتماعي آخر أوسع نطاقاً. وبينما يراقب موكب الزنوج وهويسير بنجاح في شتي أنحاء العالم، وبينما يري حياة البزخ في بلاده ترتفع إلي أعلي مستوي في التاريخ بينما يري كل هذا - كان من البديهي أن ينهض في عام 1963م للمطالبة بتطبيق القرار الذي صدر لصالحه، وأن يطالب بحق الاشتراك في حكم البلاد، وأن يطالب بالعيش على مستوي يتماشى مع المعايير الأمريكية، لا معايير الاستعمار المذرية.

كما أن هناك حافزاً آخر له أثره فى حياة الزنجي، قد ساعده على الانطلاق من البيت إلي الطريق وأخرجه من الخندق والكوخ إلي الخطوط الأمامية في المعركة المصيرية، وكان هذا الحافز هومرور مائة عام علي صدور إعلان تحرير الزنوج دون أن يظهر له أي أثر لتخفيف بلواه أوالتغيير من وضعه الاجتماعى المهدوم.

وعندما أشرق فجر عام 1963م كانت البلاد تعد العدة للاحتفال بمرور مائة عام على صدور إعلان تحرير الزنوج من الرق، فشكلت لجنة فيدرالية في واشنطن لتنظيم الاحتفال بهذا الحدث التاريخي. حيث استغل رؤساء الولايات ومحافظوا المدن تلك المناسبة ليؤكدوا مراكزهم السياسة فقاموبتشكيل لجان للاستقبال، وأصدروا البيانات ونظموا مواكب على مستوي الحكومة، وأقاموا حفلات للعشاء، وأشرفوا على ألوان متعددة من النشاط الاجتماعي. في ذلك العام كانت الشمبانيا تتدفق على الموائد حيثما يجلس عدد لا يحصي من كبار المدعوين بزيهم الرسمي وأمامهم ما لذَ وطاب من مأكل ومشرب، فجلسوا ينصتون ويهللون إلي الجمل الرنانة التي صيغت في مديح الخطوات الباهرة التي خطتها الديموقراطية سنة 1963م.

وللأسف كان كل ما أسفرت عنه هذه الدعاية هوأن تُعيد إلي ذاكرة الزنجي أصله الذى جاء من أجله، أنه ليس حراً بما في هذه الكلمة من معنى، وأنه ما زال يعيش في نوع من الاستعباد تختفي معالمه تحت ستار من الزخارف المموهة. وعلى حد قول جونسون نائب الرئيس[2] "كان تحرير الزنوج مجرد إعلان لحدث لا كيان له" إن المحرر العظيم[3] نقل الزنجي بجرة قلم من الظلمات إلي شمس الحرية، ولكن الأوضاع التي عاش فيها هذا الأخير خلال ذلك القرن تركته يقبع في ظلمات العبودية سياساً، ونفسياً، واجتماعيا واقتصاديا

[2] كان جونسون نائباً للرئيس كنيدي في ذلك الوقت وحل محله في رئاسة الولايات المتحدة بعد اغتياله.

[3] يقصد إبراهام لنكولن الذي أعلن تحرير الزنوج في الولايات المتحدة عام 1865

وذهنياً. فنرى في الجنوب قامت العنصرية لمناهضة الزنوج سافرة عن وجهها الحقيقى، بأجلي وأقسى معانيها كما واجهتهم في الشمال كذلك، إلا أنها كانت هناك تتخفي تحت ستار من الزيف.

وأدرك الزنجي أنه عاش منذ إعلان تحريره كمن يعيش على جزيرة منعزلة محروماً من الاستقرار المادي، فيري حوله بحراً من الرخاء وهوما زال بعد عند أدني درجات المستوي الاقتصادي، تحيط به دائرتان، تتمثل الأولي في لون بشرته السوداء، وتمثل الثانية ثقافة خاصة دون مستوي الكفاية، تقضي علي أن يعيش حياة المحتاجين.

إن الزنجي العادي يولد في أحضان الفقر والحرمان، فإذا حاول التخلص من تلك الظروف وجد التمييز العنصري حجر يتعثر به في طريقه، فهومحروم من التعليم العادي ومن كل فرص الحياة اجتماعيا واقتصادياً، وإذا أراد أن ينشد فرصته يطلب منه غيره بأن يرفع نفسه من رباط حذائه غير آخذين في الاعتبار أنه عاري القدمين.

وعند ما حل عام 1963م كان العاملون من الشعب الأميركي قد نسوا الأزمة المالية الكبرى التي مرت بها البلاد، لعل بعضهم لم يمر بها على الإطلاق. وكان انتشار البطالة بطئياً متواصلاً لكنه لم يقترب من البيض إلا لماما، بنسبة 5٪ ولكن الأمر كان يختلف بين الزنوج إذ إن عدد العاطلين منهم كان بنسبة 2.5٪ إلي1 من مجموع العاطلين من البيض، هذا مع العلم بأن متوسط دخل الزنجي يعادل نصف دخل الرجل الأبيض.

إن كثيراً من الأمريكيين الخيريين يفرقون بين التزمت الديني والاستغلال الاقتصادي، فكانوا يستنكرون التعصب ولا يعترفون به، ولكنهم يتجاهلون الإجحاف المالي.

أما الزنجي فكان يعلم أن هناك ثمة علاقة خبيثة تربط هذين الشرين، لأنه يعمل في الحوانيت ومحال لا تستخدم إلا السود، وتدفع لهم أجراً دون مستوي المعيشة، يعلم أيضاً أن انخفاض نسبة الأجور في الجنوب عما هي عليه في الشمال، لا يرجع لأسباب جغرافية، ويعلم كذلك أن تركيز الأضواء والاهتمام بازدياد عدد العاملات من البيض (في الولايات المتحدة) ظاهرة ليست بجديدة على الزنوج، فالمرأة الزنجية تعتبر العمل أمراً عادياً وفرضاً عليها، كي تهيئ لأسرتها سبل الحياة والمعيشة.

وقبل أن يحل عام 1963م بقليل، أدرك الزنجي أخيراً أن المجتمع الذي يعيش فيه قائم علي نظام اقتصادي منسق بشدة وبدقة، تسند للزنجي بمقتضاه أدني الأعمال من حيث الأجر ونوع العمل، فإذا تراءي له وأحب أن يغير من وضعه، اصطدم بالعنصرية. وعندما حل الصيف بدا واضحاً أن انتشار البطالة أصاب الزنوج بدرجة ملموسة، وملحوظة. فإذا آمنا أن هناك مساواة، وأن المساواة تعنى المحافظة على كرامة الإنسان، فالأمر يقتضي إتاحة عمل مستقر يضمن العيش والحياة الكريمة للرجل الأسود.

ومما زاد من مشاكل الزنوج ظهور الآلات الأوتوماتيكية وانتشارها، حيث إن القيود العنصرية، وعدم الكفاية التعليمية، قضيا علي الزنجى بممارسة الأعمال التي تتطلب مهارة محدودة فقط، وتلك التي

لا تحتاج إلي مهارة على الإطلاق. ونظراً لهذا الوضع، كان الزنجي وما يزال أول ضحية للنموالتكنولوجي في عصرنا، وهويدرك تماماً أن الدولة تهتم بوضع برنامج ومراكز لإعادة تدريبه على العمل، حتى يستطيع أن يتغلب الزنجي على مشكلته.

إن أي عمل خارج الحصار العنصري الذي يحيط بالزنجي، عمل بناء، ومع ذلك أجمع أصحاب الأعمال وإتحادات العمال، على أن السود الذين سخروا لبناء الدولة لا يصلحون الآن للقيام بهذا النوع من العمل. إن آلاف الملايين تنفق في إقامة مبان للدولة والمنشآت العامة والمدن، ويدفع الزنجي نصيبه من الضرائب لإقامتها، لكنه لا يستفيد مالياً من تلك المشروعات، إذ إنه من المحظور عليه أن يستخدم للعمل في إنشائها. إن من يري الكباري والفيلات الفخمة، والمواني الضخمة والمصانع الهائلة في جنوب الولايات المتحدة، يتساءل عما إذا كان لدي الزنجي المهارة الكافية ليعمل فى البناء إذا جاءت له الفرصة ليتدرب على هذه المهنة. إن العنصرية القاسية العاتية الغشوم، هي التي سدت في وجهه سبل القيام بعمل محترم.

في عام 1963م، بعد أن مر على الزنجي مائة عام، وهوبمعزل عن الحياة الحرة، وقد أفاق من غفوة الخمول التي كان غارقاً فيها، وأدرك فجأة أن عام 1963م معناه أن مائة عام قد انقضت منذ أن وقع إبراهام لنكولن على إعلان تحرير الزنوج من الرق والعبودية.

إن الاحتفاظ بالعيد المئوي لتحرير الزنوج، كان السبب في نهضتهم للعمل، وهوسبب جلي واضح بسيط للغاية يمكنهم أن يلمسوه إذا ما رجعوا بالذاكرة إلي ماضيهم القريب.

ومن الواضح المرير أن هذا الاحتفاظ المئوي لإعلان تحرير الزنوج لا جدوى من إقامته باعتباره عيداً قومياً، وكان الأجدر أن يعتبر ذكري لفترة خطيرة في تاريخ البلاد سجلت في أثنائها بداية جريئة جبارة، وكان يجب اعتباره تجديداً للتعهد بإنجاز الأعمال الملحة المعلقة ومواصلة الزحف المقدس نحوالأهداف التي سبق أن ذكرت في مقدمة الدستور وفي الدستور بالذات، وفي قرار حقوق الإنسان، وفي التعديلات التي أُدخلت على البند الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

ومع ذلك، فكل هذه الدوافع حتى إذا تضافرت، ما كان لها أن تؤدي إلي الثورة الهائلة السامية التي قامت عام 1963م لولا وجود فلسفة معينة، ونظام محدد لتحقيق تلك الصورة. إن النضال السامي المباشر لم ينبع في أمريكا، لكنه وجد فيها الجوالملائم لبقائه، فهي البلاد التي يؤمن أهلها أن عدم التعاون مع الظلم تقليد نبيل، وهي البلاد التي امتلأت قلوب الخيرين فيها بروح التسامح المسيحي الحق.

إن النضال السامي مر بنجاح في الاختيار في أثناء أحداث مدينة مونتجمري في عامي 1955/1956م، وازداد صلابة في الجنوب خلال السنوات الثماني التي تلت ذلك، حتى أصبح في عام 1963م قوة طبيعية تحرك أكبر حشد جماهيري طالب بالحرية في تاريخ أمريكا.

إن النضال السامي سلاح عادل قوي، سلاح فريد في تاريخ الإنسانية يقطع دون أن يجرح، يضفي على من يحمله مسحة من النبل، ويداوي آلامه، وهوالحل العملي والأدبي على صرخة الزنوج

في طلب الحرية، إذا أثبت أنه يساعد علي كسب المعارك دون أن يخسر الحرب، وأصبح لهذا السبب التخطيط الفعال الناجح لثورة الزنوج عام 1963م.

الفصل الثاني

السيف المداوي:
الثورة والعمل السلمى

وقد ظل الزنجي الأمريكي محروماً من دخول باب الحياة الكريمة مدة طويلة دون ذنب جناه حتى جاء صيف عام 1963م في وقت مناسب لقيام الثورة فى وقت تجمعت فيه للزنوج الظروف المواتية، لتحقيق احتياجاته الملحة، وحالتة النفسية لتهيئته للعمل. وحتي يمكن لنا أن نفهم هذه الثورة، علينا أن نفحص بالتفصيل ونفسر كافة الظروف السيكولوجية والاجتماعية التي خلقتها هذه الثورة، والأحداث التي دفعتها بفلسفة السلم وعدم العنف والعمل المباشر إلي الخطوط الأمامية والنضال لدخول باب الحياة الكريمة.

ويجب علينا أن نفهم أولاً وقبل كل شئ، أن الثورة لا تدل على نفاد صبر الزنوج. فالزنجي لم يكن لديه هذا الصبر ولم يكن صبوراً في أي وقت مضي بالمفهوم الصحيح لهذه الكلمة ومعانيها. أما عن انتظاره فإن كان الانتظار في صمت فيرجع السبب في ذلك إلي حالته النفسية، كل ذلك نتيجة للقيود المادية التي كانت تعرقل خطواته.

نعم إنه لا يسعى إلى اغتصاب شيء من الرجل الأبيض ففي

أيام الرقيق كان الضغط على الزنجي علنياً ومستمراً، إذا عاش مستعبداً بقوة الطاغية التى تسيطر عليه جسمانياً ونفسياً، فمثلاً كان محظوراً عليه أن يتعلم القراءة والكتابة بمقتضي قانون حكومى ثابت في السجلات الرسمية، بل وكان محظوراً عليه أن يختلط بالزنوج المقيمين في المزرعة التي يعمل عليها، إلا في حفلات الزواج أوفي أثناء تشييع الجنازات.

وأسوأ ما فى العنصرية أن الزنجى السيئ الحظ لا يجد إلا أقل القليل وإذا تمرد أوشكا من أمر ما، كانت الطريق إلى عقابه الذى يتراوح بين التشويه الجسماني وإلى حد القتل. فكانت أسر الزنوج تشرد بالتفرقة بين أفرادها بعضهم عن بعض، كما أن كافة طرق التعاون بين السود بعضهم البعض، لتحسين أحوالهم، كانت تهدم بانتظام. حيث كان السادة يبيعون أبناء العبيد بعيدا عن والديهم وكثيراً ما كانت الفتيات تباع بقصد تنمية أجيال أخرى جديدة من العبيد. نعم،لقد اتبع الملاك في أمريكيا نظاماً دقيقاً، ليجعلوا الزنوج مغلوبين علي أمرهم، عزلاً بعيدين كل البعد عن الحياة الكريمة، عاجزين تماماً عاطفياً وجسمانياً.

مكتبة الرمحي أحمد

يقول المستر كارى ألن: "لقد استيقظنا من سباتنا" فعندما انتهى عهد الرق – رسمياً – وذلك عقب الحرب الأهلية، كانت هناك العديد من الطرق الجديدة والتى وضعت "لبقاء الزنجي في مكانه". فقد نحتاج إلي تدوين العديد من الأسفار، إذا ما حاولنا أن نصف تلك الطرق التي ما زالت تطبق "تخنق" على أنفاس الزنجي، من لحظة مولده في مستشفيات السود، إلي أن ينتهي به الأمر في مقابر

السود، وعلى أي حال فهذه "الطرق" معلومة ومعروفة بما فيه الكفاية. ومع ذلك، يجب أن نذكر أنه خلال السنوات الماضية، إتضح أن قيود التحيز والتمييز العنصري، لم تقتصر على الجنوب فحسب، بل إنها امتدت إلي الشمال حيث إن التخطيط السيكولوجي المستتر والخفى والذي طبقه البيض هناك على الزنوج، يكاد أن يطابق من حيث البشاعة والاضطهاد المميت، لما قام به أهل الجنوب من فظاظة سافرة وإرهاب.

ولهذا اضطر الرجل الزنجي إلى أن يتخذ موقفاً أساء الرجل الأبيض فهمه، وفسره على أن الزنجي مخلوق صبور يتحمل الأذى، مع أن حقيقة الأمر أن الزنجي كان يُشوى ويتلظى من داخله وفي قرارة نفسه اليأس الذى يوشك أن ينفد صبره.

وما فتئ العنصري الأبيض يقول ويؤكد خلال أعوامٍ وكل الأعوام أن الزنجي "راض عن مصيره"، ثم يستطرد قائلاً: "إننا على صلة طيبة مع زنوجنا العبيد، لأننا نفهمهم، ولا تحدث مشاكل بيننا، إلا إذا أثارها أجانب مغرضون". ويكرر كثير من الأمريكيين هذا القول، مع علمهم أن ذلك ما هوإلا كذب محض، ويقوله البعض الآخر موقنين أنه حقيقة واقعة ولا محالة. وقد يستند بعضهم على صحة رأيه هذا بقوله: "إنني كنت أتحدث مع الطاهية في منزلي (عن العنصرية)، وأجابت.... إلخ".

وقد يقول أيضا: "لقد بحثت هذا الموضوع بصراحة مع الخادم الملون الذي يعمل عندنا وطلبت منه أن يبدي رأيه دون وجل أوخوف، فقال....إلخ"

وفي اعتقادي أن البيض من أهل الجنوب، لن يدركوا أبداً مدي الجهد والعناء الذي بذله الزنوج، لكي يحتفظوا بوظائفهم في العمل، بل وفي كثير من الأحيان، ليحافظوا على أرواحهم من الهلاك والفناء، وذلك بأن يدعوا الجهل والموافقة على آراء غيرهم من البيض الذين هم سادة العمل وإلا تم طردهم. ولم يأت في الأيام الغابرة، أن تستطيع طاهية أن تتجرأ على التعبير عما برأسها أمام سيدها، بل على العكس كانت تقول له ما يرغب هوفي سماعه، لأنها تعلم تمام العلم أن جزاء صراحتها سيكون الطرد من عملها.

فقد حدث في أثناء حركة مقاطعة أتوبيس مونتجمري ، أن استدعت عائلة من البيض الطاهية الزنجية التي تعمل لديها بالمنزل، وسألتها ربة البيت عما إذا كانت تؤيد "التصرف السيئ" الذي يقوم به الزنوج من لونها، وإصرارهم على المقاطعة، وأجابت الزنجية: "أبدا يا سيدتي، أنا لا أساهم في هذه المقاطعة، وسأظل بعيدة عن الأتوبيسات، طالما كان هذا الشكل قائماً"، واقتنعت السيدة برد الطاهية. أما الطاهية فقد عادت لمنزلها وهي تختال على قدمها المكدودتين لعلمها أنها تشارك وعلى طريقتها في مناهضة العنصرية بردها إليهم.

وكان السجن بالنسبة للزنجي يتمثل فى فقدانه لعمله، وإذا صدرت منه أى بادرة لإثبات رجولته وموقفه، اعتبر هذا خروجاً علي القانون، حيث يهدده عليه رجل الأمن بعبارة "أحترس أيها الأسود وإلا سجنتك". وسجن الزنجي ليس مجرد عزل وإبعاد عن أهله فحسب، بل يعنى أنه سيضرب بقسوة، وأن محاكمته هذه إذا قدم

للمحاكمة ستكون صورة هزلية للعدالة.

لكن تطور الأمور بعد أن بدأ النضال السلمي، أثار دهشة الرجل الأبيض، فقد كان وحتى العهد القريب، يوجد في الجنوب، وفي بعض أنحاء الشمال من البّلاد.. تقليد معين يبيحه المجتمع الأمريكي، إذ يسمح لبعض المسؤلين من رجال الحكومة والدولة أن يستغلوا سلطتهم باسم العدالة لكي يحكموا الأقليات، وبينما كانت التقاليد والعادات في عصر الرقيق تضع السوط في أيدي الأسياد والمشرفين على أملاكهم دون قيد أوشرط، وذلك وخاصة في الجنوب كنا نري حشوداً من رجال الحكومة لديهم السلطة وكل سبل التعذيب، بل ومدربين نفسياً لأذية الزنجى، بحيث يجعلون لأنفسهم الحق في أن يدخلوا الرعب في قلوب الزنوج، بل وتصل إلى العقاب الجسدى. ذلك في أن يشوهوا ويقتلوا فيهم بنفس الاستهتار الذي كان يعمل به مالك العبيد أيام الرقيق. والدليل ما هوثابت في السجلات الرسمية على أن رجل الأمن قلماً كان يعاقب بسبب الاعتداء على فرد زنجي من السود.

ومع تطور الأحداث والنضال السلمي، كانت دهشة الرجل الأبيض أكبر عندما، رأي مئات بل آلافا من الزنوج يتجهون نحوه وهم يدركون بل ومتأكدين أن مصيرهم السجن، وهناك فى السجن الأذى بكل ألوان العذاب والعقاب بشتى أنواعه المختلفة، ومما ذاد من الدهشة أن الزنوج راغبوا في السجن وأن يتحملوا الضرب والقضاء الجائر بمحاكم الجنوب الظالمة والتى لم تعرف العدل يوماً.

ولقد مرت مدينة برمنجهام بفترة عصيبة وذلك قبل نهاية الحملة

عندما كان الأطفال السود يركضون ساخرين خلف رجال الأمن مطالبيهم بأن يقبضوا عليهم. ومع أن هؤلاء الصبية كانوا على استعداد لأن يسجنوا مثل الكبار تماماً، إلا أنهم كانوا يعلمون كذلك أن السجون قد امتلأت بالسود، بحيث لم يعد بها مكان لنزيل من النزلاء ولوكان رضيعاً.

الذى إذا ما أرغمته على أن يتنازل عن كرامته ورجولته القادمة تحت التهديد التعسفي والظلم لعشرات من السنين، فلا تستطيع أن تجبره على ذلك ثم التفت هذا الرجل نحوك فجأة وقال لك:

"هيا عاقبني كيفما تشاء. إني لا أستحق العقاب، لكني أقبله وأرضاه رغم براءتي وإنى أفعل هذا لكي يعرف العالم كله أنني على حق وأنك أنت ولا غيرك ظالم" نعم إنه لوفعل هذا لسقط بين يديك ووجدت نفسك مغلوباً على أمرك خجلاً من الموقف. فأنت تعلم أن لهذا الرجل نفس الحقوق التي تتمتع بها أنت وغيرك من البيض، وأنه تشبع وشرب من منبع مجهول ما يحتاج إليه من شجاعة وإيمان ليواجه قوتك المادية بقوته الروحية وصبره. فلم يعد السجن بالنسبة للزنجي وصمة عار يخجل منها، بل قلادة شرف يعتز بها. فكانت ثورة الزنوج هدفها تحريره من أسباب شقائه، حيث قادته هذه الشجاعة في ذات الوقت لأن يدرك حقيقة أمره. فهوفرد له كيانة المستقل، وأصبح يتطلع بفارغ الصبر للتحرر من العبودية والاستعباد.

كما ظهرت في الأعوام العشرة الماضية لعام 1963م. طريقة جديدة لعرقلة العمل على تحقيق طموح وآمال كل الزنوج وأمانيهم، من خلال ما يمكن أن نسميه ا"الرمزية"، والرمز ـ كما جاء تعريفه في

القواميس ـ مجرد "دليل" أو"إشارة" إلي شئ ما أوبديل له.

فقد لجأت محكمة القضاء العالي إلي تلك الرمزية، وذلك عندما أصدرت محكمة القضاء العالي قانون توزيع التلاميذ، القانون الذي أفسد الغرض الأساسي الذي صدر من أجله قرار تطهير المدارس من التفرقة العنصرية.. وهكذا لم تعط محكمة القضاء العالي الزنوج الحرية بالمعنى الجوهرى، بل قدمت لهم بدلاً منها بديلاً آخر. ومثلها في ذلك مثل الذي يقدم لراكب الأتوبيس "ماركة" تعطيه الحق في رحلة قصيرة نحوالديموقراطية، إلا أن للسائق في نفس الوقت - أن يحتفظ لنفسه ولوحده دون غيره، بالحق في أن يلغي قيمة تلك الماركة، إذا تراءي له أن يفعل ذلك، وبالتالي يستطيع أن يأمر الراكب فى أى وقت أن يغادر السيارة قبل أن تصل إلي نهاية الرحلة.

ذلك البديل ما هوإلا مجرد وعد أوتعهد رمزى، أما الديمقراطية الحقيقية فهي الإنجاز الفوري لتنفيذ هذا الوعد.

وإذا كان الزنجي يصبوإلي التفاخر ببنى جنسه، فمن السهل إرضاؤه بأى وسيله ولوكانت عن طريق الرمزية، فمثلا هناك الزنجي رالف بانش الذي صعد إلي أعلى المناصب وإلى مركز مرموق يضفي قدراً من المجد يكفي لإرضاء أنفس عشرين مليوناً من الزنوج، وما يمكن به إرضاء الملونين عن طريق الرمزية، أن يعين من بينهم قاضي هنا، ومدير أعمال هناك، وآخر يقود مركزاً يؤهله لأن يصل لمنصب وزير، وأخر طالب يلحق بإحدي الجامعات ـ ولوأحتاج الأمر لأن يحرسه رجال الجيش - وكذلك إلحاق ثلاثة أطفال من السود بالمدارس الثانوية في مدينة كبري... إلخ. كل تلك النماذج كانت

تقدم تضليلاً للزنوج، ذلك لعرقلة طريقه إلى الحرية التى يسعى إليها، باعتبارها رمزاً على مساواتهم بالبيض وللتستر على التمييز العنصري القائم فعلا.

شعر الزنوج أن النضال المرير الذي ظل لعشرات من السنين، عندما بلغ الذروة لم يسفر إلا عن قدر محدود من النجاح، ولم يتقدم إلا وشيكا. كان مبدأ الرمزية يسيطر على المدارس والوظائف والإسكان، وحق الانتخاب والسياسة. وعليها فقد شعر الزنوج أنها حركة تمثيلية خبيثة، لا يمكن أن نعتبرها أصلاً خطوة بناءة إلى طريق الحرية. وبأن خطة ما جعلت تتبلور لتغيير مسار نضالهم عن مجاله الرئيسي، بحيث يتمتع عدد محدود منهم بالتعليم والرعاية والترقية، فينظر إليهم "كرمز" لمساواة البيض بالسود، بينما تهمل الأغلبية الباقية من خلفهم دون النظر إليهم.

وهكذا قامت فئة من البيض تدافع عن الرمزية بحجة أنها بداية لا بد منها، لكسب جولة جديدة، أوباعتبارها نقطة انطلاق، وأنه يجب على الزنوج أن يقدروا الجهود التي تبذل مهما كان نقائصها. ولهذا الرأي قيمته بلا شك، فما أكبر الانتصارات التي أحرزها الزنوج بأعمال بدأت في نطاق محدود ومجهول. ولكن الأمر هنا يختلف تماما بالنسبة إلي الرمزية، لأنها في نظر الزنوج تمثل الهدف للوصول إلي الحل، بحيث تقضي هذه على مقاومة الاضطهاد والاحتجاج عليه، بدلاً من أن تعالج الموقف وتقوم هى بحلها. بلا، إنها حركة تمثيلية خبيثة، لا يمكن أن نعتبرها خطوة بناءة.

نعم، لقد استنكر الزنوج للرمزية، ففى اعتقادي أن تحليل وتفسير

وصف شعورهم بهذا الصدد يساعد على فهم الموقف الذي إتخذوه أخيراً، ويوضح للعالم السبب الذي جعل هذا الزنجي لا يرضي بنصف الرغيف كبديل للرغيف كاملاً، ولماذا صمم على السير قدماً ورفض التقهقر بلا تراجع. مهما كلفه الأمر.

لقد انتهت الجولة الأولي للثورة، بمكسب عظيم أحرزه الزنجى في تلك الفترة، فقد لوحظ ذلك التغيير الجذري التي تتبعه الحكومة تجاه الحقوق المدنية وغيرها من المكاسب - حتى الضئيل منها في مختلف المجالات الأخرى. لكنه إذا ما تمسك هذا الزنجى بقوله إن ما أحرزه من كسب "غير كاف" فالسبب في ذلك إنما يرجع إلي أنه هوغير راض عن المحاولات التي يقوم بها مجتمعه ليحصل على حقوقه التي كان يجب أن يتوارثها شرعاً منذ قرون مضت، باعتباره عضواً في هذا المجتمع الأمريكي بحكم المولد.

إن التمسك بالتصريح الذي أدلي به الرئيس كنيدي في 11 يونيو1963م قبل اغتياله الرهيب ببضعة شهور، وبدفعه إيمانه بهذا الحق جعله يقول: "إننا نواجه الآن مشكلة أخلاقية، قديمة قدم الكتاب المقدس، وواضحة وضوح الدستور الأمريكي، ألا وهي الاعتراف بأن من حق كافة الأمريكيين أن يتمتعوا بنفس الفرص وبنفس الحقوق.. إن الذين لا يعترفون بهذا الحق لا يرجى لهم إلا المتاعب والعار، أما الذين يعملون بشجاعة، فإنما يعترفون بحقيقة واضحة لامناص منها".

ولقد مضي على إعلان تحرير الزنوج مائة عام وهم يبحثون دون جدوى وكأنهم فى الصحراء وراء السراب الذي يقودهم إلي الحرية.

فقد كانوا يعلمون أنه يجب عليهم أن يضعوا نظاماً مناسباً لظروفهم الخاصة، والفريدة من نوعها، فعلي الرغم من أن الدستور نص على أنهم أحرار وليسوا عبيداً، فقد علمتهم الحياة أنهم يعيشون تحت ثقلين، إذ إنهم يعيشون في أدني المستويات الاجتماعية، حيث يجدون أنفسهم سجناء بحكم الطبقية واللون.

لقد سار الزنوج لعشرات السنين عبر طريق مسدود. وفي تلك الأيام التي تلت حركة البناء (الاجتماعي) ناشد بووكرت واشنطن الزنوج بأن يستكينوا وأن يتركوا ويعطوا الفرصة للزمن كي يصلح ما أفسده الدهر، إلا أنهم وجدوا أن هذا الطريق مسدوداً لن يصل بهم إلي طريق الحرية في الوقت الحاضر كما أنه لا يوحي بأي أمل في المستقبل.

العشر الموهوب

وفي أواخر القرن الماضي جاءهم د /ه. أ. ب دي بوا وحث (ما أسماه) العشر الموهوب من الزنوج على أن يقوموا وينهضوا بل ويسحبوا من وراءهم باق أبناء جنسهم. فكانت دعوتهم تلك نوعاً من العلاج لفلسفة الاستسلام الصارخ التي إتبعها بووكرت واشنطن، لكن وجهة نظر دي بوا لم تستند إلى دوراً إيجابياً للسود كشعب بل كانت مجرد تخطيط يفتح الطريق لصفوة أرستقراطية تفوز بنصيب الأسد بينما يتعثر التسعون في المائة من غير الموهوبين من خلفهم فى قعر الطريق.

ويعد الحرب العالمية الأولي وجه ماركوس جارفي نداء للزنوج يحفزهم على أن يتغلبوا على أى شعور بالنقص والعودة إلي موطنهم الأصلي أفريقيا، والاعتزاز بجنسيتهم. وانتشرت تلك الحركة على نطاق الجماهير حيث أحدثت رد فعل عاطفي عميق من داخلهم، فقد أثارت هذه حقيقة كانت غائبة عن أذهان كل السود وهي أن من واجبهم ان يفخروا بمجدهم وتراثهم، وبالنجاح والنصر الذي أحرزوه بعد كفاحهم المرير في هذا الوطن أمريكا. إلا أنه لم يكن مقدراً لتلك الحركة أن تنجح، فلقد استقرت جذورهم، وقد تفرق جمعهم من الأهل والولدان، لذا فإن إياب شعب بأكمله إلي إفريقياً في القرن العشرين، بعد أن أقام في هذا العالم الجديد ثلاثة قرون ونصف والتى استقرت جذوره بأراضيه، أضحي أمراً عسيرا فى تحقيقه.

ويعد أن انتهت حركة جارفي، ظهرت حركة جديدة احتلت المركز الأول والصدارة لحوالي ثلاثين عاماً. والتى نادي بها الحركة الإتحاد الوطني لتقدم الملونين وسار بها بنجاح. حيث تعتمد تلك الحركة على تطبيق الدستور والقانون الفيدرالي. بحيث تصبح المحاكم الفيدرالية الأداة لمكافحة الاضطهاد العنصري وخاصة في الجنوب، حيث تستغل هذه المحاكم الفيدرالية هذا القانون للحد من حقوق هؤلاء الزنوج.

وتحت إشراف قادة من الزنوج قد وهبوا أنفسهم للخدمة الإنسانية سارت حركة الإتحاد الوطني لتُقدم الملونين بلا هوادة نحوالعديد من الانتصارات في المحاكم وكان من أبرز تلك الانتصارات إقرار حق

الزنوج في مباشرة التصويت فى انتخاب رئيس الجمهورية، والقضاء بصورة نهائية على كل طرق التحايل والتهرب مثل "بند الأجداد" و"أولوية البيض" إلخ. وأخيراً وليس آخراً، المسائل التربوية. ورغم ذلك فإن فشل الدولة في تطبيق تلك القرارات بعد صدور ما يزيد على الأعوام العشرة أحدثت رد فعل كان كفيل لزعزعة إيمان الزنوج بالتشريع كوسيلة رئيسية لتحريرهم. وأصبح بذلك الزنجي يعتبر أي إصلاح لوضعه الاجتماعي يأتي عن طريق التشريع، فهومجرد إصلاح رمزي خبيث غير نافع إذ استعمل بمفرده. وعندما بانت تلك الحقيقة أمام الزنوج - في منتصف القرن الحالي - فقد وجدوا أنفسهم في خضم أزمة واقعة بالفعل، فالحركة التي قاموا بها لم يعد لها أى مبدأ أساسي يكون الرجاء منه ولا حتى خطة معينة يتبعونها للنضال في التحول الاجتماعي.

ومن المعلوم في أن التحول الاجتماعي للثورة لا يقوم إلا إذا وضع لها مخطط يتماشي مع هذه الظروف المعاصرة لها والتي أدت إلي قيامها. وإيجاد عدة آراء في منتصف القرن لتحل محل التشريع الذي ثبت فشله كوسيلة لإنصاف هؤلاء الزنوج، حيث اقترح بعضهم القيام "بحمام الدم" وكانت حجتهم العديد من سوابق التاريخ الذي مر بالبشر من عهد "سبارتا كوس" في روما إلي أيام الحرب الأهلية الأمريكية. لكن الزنوج كانوا مفككين، يعوزهم الالتحام والنظام والتدريب. وإلى جانب ذلك، قد كانوا غير مهيئين نفسيا وخُلقيا للقيام بحمام الدم وسفك الدماء عمداً. فكان الزنجي على استعداد لمواجهة الهلاك في سبيل الحرية إذا اقتضي الأمر، لكنه يرفض أن

يقحم نفسه في عملية انتحارية غير فعالة وغير مجدية.

ولعل أصل العقيدة الدينية والمتأصلة في الزنجي لهى السبب، فكانت من أهم العوامل التي حالت دون قيامه بأعمال العنف، فمنذ أن بدأ التمرد الأسود الذي أدي إلي حركة المقاطعة في مونتجمري عام 1656/55م، أي عندما رفضت السيدة "روزا باركس" الزنجية أن تترك مكانها بأحد المقاعد الأمامية المخصصة للبيض في الأتوبيس، منذ ذلك الحين وصارت الكنيسة هي المحور الأساسى للنشاط المناهض للعنصرية، بل ويمكن القول بأن كنائس الزنوج في الجنوب سبق لها أن برزت في هذا الميدان، قبل حركة مونتجمري بعدة سنوات، ودفعت بثقلها الدينى للدفاع عن الحقوق المدنية. ونظراً لإيمان رجال الدين من الزنوج بأن المسيحية الحقة توجب عليهم أن يطبقوا مبادئ عقيدتهم الدينية في النظم الاجتماعية، ونظراً لإيمانهم بهذا، فقد حملوا الأمانة وقادومسيرة النضال لإرساء العدل بين كل الشعوب أيا كان لونهم، وقاموا بدور فعال ذا أثر كبير في نشاط الإتحاد الوطني لتقدم الملونين، وقد أثبتوا فى ذلك وجودهم في هذا الميدان، بل ووضعوا طابعهم الخاص في حركة التحرير.

هذه الرابطة خرج منها هؤلاء الرجال بمبدأ العمل السامي، ومبدأ المطالبة بتغيير الأوضاع بدلاً من الأخذ بالثأر الدموى. أى لم يعتنقوا مبدأ القصاص (العين بالعين)، بل طلبوا من مؤيديهم أن ينظروا إلي الأحداث دون التحيز لأى من الجماعات. لقد ابتعد الزنجي بكل ما يملك عن أعمال العنف، وذهب بعيداً عنها لأنه يعى تماماً أنه عاجز عن مواجهة القوة بالقوة، ولأنه يعلم أيضاً أن العنف سيفقده قيمة

الروحية.

الزنوج المسلمون

ولقد كان هناك سلاحاً أخر نادى به المسلمون كان على عكس تعاليم ماركوس جارفي والتى كان لها أثر آخر والذى لجأ إليه الزنوج لحل الأزمة في تلك الفترة ففي رأي الزنوج المسلمين أن مجتمعا يتكون من شعوب ذات أجناس مختلفة، لن يعود على الزنوج إلا بالعذاب وخيبة الأمل، ولهذا السبب طالبوا بالانفصال كليا عن البيض. لكنهم على عكس ما نادى به جارفي، لم يطالبوا بالإياب إلي أفريقيا، وعلى أية حال لم تفز حركتهم هذه إلا بنسبة ضئيلة من المؤدين، أغلبها من الذين يؤمنون بأن السبيل إلي الحركة كان يعتمد دائماً على النضال المسلح... وما زال. عبر كل البلاد، فإن عدد الذين سمعوا بتلك الدعوة قليلون جداً (باستثناء بعض جماعات بالمدن الكبرى)، كما أن عدد الذين تمسكوا بالحركة الإسلامية هذه أقل عددا.

وثمة نظرية أخري قد ظهرت لحل الأزمة، والتى تقول بإتحاد الزنوج من السود مع الملايين من البيض الذين يعيشون في الجنوب في أوضاع دون مستوي المعيشة، وهي نظرية قد تبدومعقولة من حيث المبدأ، حيث إن غالبية البيض في الجنوب يعيشون في ظروف تكاد تشبه الأوضاع التى يعيشها الزنوج، إلا أن تلك النظرية لم تطبق عملياً.

إن الزنوج لهم أكثر إدراكاً من البيض بحالتهم السيئة، وفي أشد الاحتياج لتحسين حالتهم السيئة، وكان البيض أيضاً يشكون من هذا الاستغلال، والسبب الأساسى في ذلك أن الرجل الأبيض، كفرد، يستطيع أن ينهض اجتماعيا دون أن تعرقله أى من الحواجز التي تسد الطريق في وجه الرجل الأسود، وأضف إلي ذلك، إلى أن الرجل الأبيض في الجنوب يعتبر أن فارق اللون هوالعقبة التى تقف بينه وبين هذا الزنجي، أكثر مما يري كل تلك الظروف المجحفة والمشتركة التي تربط بين مصلحتيهما. واضطر الزنوج لهذا السبب أن يعترفوا بالأمر الواقع، وهوأن عليهم أن يعملوا بمفردهم، دون حلفاء من ولايات الجنوب، حتى وإن كانت هذه القوي الحكومية المدونة رسمياً تجعل تحقيق هذا الأمل بعيد المنال.

وما إن كانت المشاكل تأتى إلا ويتبعها التاريخ بالحل المناسب عاجلاً أوآجلاً. فالمغلوبون على أمرهم من الزنوج، والناقمون من الناس، إذا ما واجهتهم أزمة، لجأوا إلى نوعاً من البصيرة يعينهم على اختيار سلاح ملائم يشقون به الطريق إلي حيث يستطيعون أن يخطوا إلى مصيرهم بأنفسهم. وهكذا اختار الزنوج سلاح النضال السلمي المباشر الذي تبلورت منها فكرة استعماله بين عشية وضحاها، والتى تمسكوا بها وتشبثوا بهذا الحق: فالنضال السلمي في نظر الزنجي يساعد على إنجاز عملية التعديل الاجتماعي لوضعه علي طريق التشريع والطريق الصحيح، لكنه لا يحل محلها. ولم يكن حلاً. فهومجرد طريق إلي عدم العنف، بدلاً من التباهي والتفاخر به، وهى فرصة للعمل بالتضامن مع بني جنسه ولونه للمطالبة بحقه

كمواطن، لـه الحـق فـى كـل مكـان سـواء كـان ذلـك في الطريـق، أوالأتوبيس، أوالحوانيت، أوالحدائق العامة... إلخ.

التراث الديني للزنوج

ولقد أثبت التراث الديني للزنوج، أن المقاومة السلمية قد جعلـت من المسيحيين الأولين خطراً كان سبباً لزعزعة الإمبراطورية الرومانيـة من جدرانها، ولقد أثبت التاريخ الأمريكي أن كل حركـات المقاطعـة ومظاهرات الاحتجاج والتى أثارت الارتبـاك في صـميم الإمبراطوريـة البريطانيـة، وكانـت الـسبب الأساسـى الـذي قامـت عليـه تحريـر المستعمرات الأمريكية من السيطرة الجـائرة. وكيـف اسـتطاع المهاتمـا غاندي وأتباعه، أن يسدوا فوهة المدفع البريطاني في الهند، وأن يحـرروا ما يقرب على ثلاثمائة وخمسين مليون نسمة من الاسـتعمار بإتبـاع سياسة المقاومة السامية.

ولهذا كان الزنجي مثـل أسـلافه مـن الأجـداد علـى اسـتعداد لأن يواجه الألم والتعذيب والموت، في سبيل أن يوقظ الضمير الاجتمـاعي من حوله، لكنه صمم في ذات الوقت أن يرغم عدوه على أن يـكشف عن قسوته البشعة ويكشر عـن أنيابـه في وضـح النهـار، لـيراه العـالم أجمع، وألا يترك له أى فرصة كى يتستر وراءه، عندما يقـوم بتعذيبـه داخل السجون المظلمة، وعبر الطرقات الكاحلة.

لذا فإن العمل المباشر لهودليل على تطور جماهير الزنوج، إذ ثبـت أنهم قد تجرءوا على التحرر من آراء المجتمع البالية من أيـام مـا كـان

مبدأ العين بالعين، والتحفز للدفاع عن النفس كمقياس للرجولة في أمريكا. والزنوج كشعب، يقدس تقاليد السلف ويمجد الأبطال الذين يدافعون عن العدالة بالثأر من الظالمين، لذلك كان من الصعب أن نُقنع غيرنا بأن اللطمة الأدبية لا تقل ألماً عن لطمة اليد، ومن الصعب أيضاً أن نقنع غيرنا بأن المرء يحتاج إلي شجاعة أكبر ليضبط بها أعصابه عن رد اللطمة بمثلها.

ورغم ذلك نلاحظ أن الفرد الأمريكي يستجيب بطبيعته إلي القوة الروحية، وأذكر بهذه المناسبة رواية "So Killa Mocking Bird" والتي حازت شهرة واسعة، كتاباً وفيلماً، حيث وصف بطل الرواية، وهومحام من البيض تصدي لمجموعة من جيرانه جاءوا ليرحموا رجلاً زنجياً من عملائه يعمل لديه وكان متهماً بجريمة ما.

فواجههم المحامي بكل شجاعة، وهوأعزل من السلاح، لا يحمل إلا كتاباً للقانون كان يقرأ فيه، وكانت ابنته الطفلة واقفة بجانبه عندما أقبلت شرذمة من الرجال نحوهما، وببراءة الأطفال جعلت الصبية تخاطب كل واحد منهم باسمه، مما جعلهم يتداركون الأمر ويتراجعون خجلين، إذ شعروا أن لكل منهم لقبه وكيانه ومسئوليته الخاصة، وعليهم أن يتذكروا أنهم ليسوقطيعاً من الكلاب الضارية الضالة.

وأتضح للزنوج في عام 1963م - كما سبق أن أتضح "لأتيكوس فتش" بطل الرواية - أن عدم الاعتداء يمكن أن يصبح الشعار الذهبي للبطولة، بدلاً من أن يكون الرمز المزري للاستسلام. فهذا المبدأ - بالإضافة إلي أنه يتماشي مع التعاليم الدينية، إلا أنه قد جعل الزنجي يعتمد على نفسه إبان حركة التحرير، وأن يحول حقده

الداخلى إلي نشاط بناء، دفعه إلي أن يجد في تطهير نفسيته ونفسية عدوه الجار من الشوائب والعيوب.

بلا لقد كان لهذا التحول من موقف الزنوج أثر عجيب على رأيهم في الرجل الأبيض، إذ أصبحوا يعتبرونه هوضحية لهذا النظام الاجتماعي السيئ مما جعله يتصرف على هذه الحالة العدائية.

لذا فإن عدم الاعتداء ومبدأ العين بالعين، ليس مجرد ملجأ يلوذ به الجبان، وقد ثبت هذا الرأي في أثناء الإضراب السلمي بمدينة مونتجمري ، ومما قام به المتظاهرون من أعمال البطولة التي أشرفوا في أثنائها على الهلاك والموت، وما قاموا به بعد ذلك من تضحيات في برمنجهام.

إنه لا يجوز لشعب مضطهد أن ينضم طواعية إلي جيش يسير تحت لواء النضال السلمي، إلا إذا دفعته إلي ذلك ضرورة ملحة. والجيش السلمي له طابعه الرائع، فالجندي العادي لا يلتحق بالجيش إلا إذا بلغ السن القانونية، لكن جيش المسيرة المسالم في برمنجهام، كان يشتمل على جنود تتراوح أعمارهم من سن تلاميذ المدارس الابتدائية إلي سن الطلبة الجامعيين وغيرهم من الفئات العمرية المختلفة، والجندي النظامي لا يقبل بالجيش إلا إذا كان سليم البنية، أما جيش برمنجهام فكان يضم العاجز والمشوه وغير ذلك، كما ضم جنوده المرموقين أمثال "آل هير" وهوالفنان المغني الضرير الذي يستبعد هووأمثاله من الجيش النظامي بالولايات المتحدة أوغيرها من البلاد.

هذه الجيوش النظامية لها التسلسل فى الرتبه والمستويات المختلفة، أما جيش برمنجهام فلم يكن به إلا جنود يعملون علي مبدأ المساواة - باستثناء القادة وضباط الاتصال الذين لا غنى عنهم لربط العمليات ببعضها. فمثلاً كان الطبيب يسير بجانب عامل النظافة، والمحامي بجانب غسالة الملابس، وكان المثقفون من حملة الدكتوراه والأميون يعاملون بنفس الطريقة عند تسجيل اسمائهم لكي يلتحقوا بجيش التحرير.

فالمرء لا يشعر بكيانة، إلا إذا كان يعمل ضمن مجموعة من البشر، لذا فإن أنجح البرامج الإذاعية هي التي يشترك فيها المتفرجون، وهذا هوما أتاحه جيش النضال السلمي، فكان فيه الانضمام متسع للجميع دون تقيد باللون أوالجنس، حيث يلتحق به كل من يرغب في ذلك بلا استثناء. وكل ما في الأمر أن الجندي النظامي عليه أن يفحص بندقيته، وأن يحرص على نظافتها، بينما على الجندي المسالم أن يحرص على طهارة قلبه ونقاء ضميره، وأن يكون شجاعاً مؤمنا بالعدالة ولا مكان لليأس داخله.

إن سياسة عدم الاعتداء، أثارت الارتباك والبلبلة بين السلطات التي هاجمتها وشلت كيانها، وبدلاً من أن تقوم تلك السلطات بقمع حركات التمرد بوحشيتها المعروفة والمعتادة أصبحت سلبية القوة إلا في ظل الظروف التي يتاح لها العمل فيها في الخفاء بعيداً عن الرقابة. تلك السلطات كانت أشبة ما تكون بالسجين الهارب الذي وقع تحت شعاع النور الكشاف بل والفاضح أيضاً. لذا أصبحت تلك السلطات الوحشية حبيسة أمام هذا النور الذي كشف عن هذه الحقيقة العارية

تحت أنظار العالم. ولا ريب أن بعض المتظاهرين قد تعرضوا للتعذيب وأن عدداً قليلاً من بينهم لاقوا حتفهم موتاً، وكان هؤلاء شهداء ذلك الصيف المعهود الذين ضحوا بحياتهم ليضعوا بذلك حداً للوحشية التي طالما عانى منها الآلاف من أبناء جنسهم وتحملوا الضرب والألم والتجريح والقتل في الطرقات تحت ستار الليل وفى الظلمات أوفي الحجرات المجاورة لمكاتب رجال الأمن. وقد تحملوا كل هذا أياماً وأياماً لمئات الأيام....

وكانت دورة إطلاق النار على المتظاهرين أواستعمال الهراوات والعصي لقمعهم. وهوما يلفت النظر بالنسبة إلى حملة عام 1963م السلمية. لذا، ومن الواضح أن الذين كانوا يضطهدونهم قد أمتنعوا عن إيذائهم، ليس فقط لأن أنظار العالم كانت مركزة عليهم، بل لأن مئات بل آلالف من الزنوج تجرءوا لأول مرة على أن يواجهوا الرجل الأبيض دون أن يخافه. وسواء أمسك الرجل عن الاعتداء لأمر في نفس يعقوب أوخوفاً من تأنيب ضميره، فإن استعمال الهراوات ومضخات الماء في عمليات القمع كان محدوداً. والسبب الآخر لعدم سفك الدماء بكثرة كان يرجع إلى أن الزنوج كانوا يؤمنون فعلا بمبدأ عدم الاعتداء، ثم إن قادتهم قد وضعوا خطة منظمة على نطاق واسع لحث الزنوج على عدم أستعمال أسلوب العنف، وكان من نتيجة تلك الخطة أن شلت حركة البيض وبلبلت تفكيرهم وكسرت وحدتهم. لذا فإن مبدأ العمل السلمي كان له أثره الفعال على الزنجي من الناحية السيكولوجية، إذ كان عليه أن يجاهد ويجتهد لكي يحصل على كرامته، بل وعليه أن يثبت للرجل الأبيض أن

تصويره له كمهرج لا يقدر المسئولية، واعتباره فرداً قانعاً ومقتنعاً بأنه دون المستوى، لذا فهوتصور خاطيء لا أساس له. ولهذا تمسك الزنوج بهذا المبدأ الذي دعم موقفهم ونضالهم ورفع من معنوياتهم وزاد من تفانيهم. وهكذا استطاع الزنجي أن يواجه عدوا يفوقه عدة وعتاداً، واستطاع في ذات الوقت أن يهزمه وينتصر عليه، لأن قوة هذا العدوعلى شدتها أصبحت لا حول لها ولا قوة بل ولا سلطة أيضاً.

لكن فمن الصعب والعسير أن نحدد أثر تلك المشاعر على نفسية هذا الزنجي، إلا أنندعلى يقين من أن الشجاعة وضبط النفس الذي واجه بها الآف من الزنوج تعسف وظلم البيض بسياسة عدم العنف، كانا بمثابة البلسم الشافي للجراح المدفونة في قلب الملايين من الزنوج الذين لم يستطيعوا أن يشاركوا في هذه الحركة بطريقة مباشرة، واقتصروا على تقدم المساعدات الأدبية والروحية والتعبير عن تقديرهم لإخوتهم الذين يجاهدون من أجلهم ليردوا لهم هذه الكرامة التي حرموا منها لمئات من السنين.

وفي ضوء النجاح الذي أحرزه الزنوج بعد حملة الصيف في عام 1963م، نرى أن نظم الثورات وفلسفتها لا تولد بين عشية وضحاها. فمن اللحظة التي ولدت فيها الثورة واجهت العديد من الاختبارات القاسية، وعانت الكثير من الاحتقار والمقاومة والتحيز. ورغم ذلك فإن المجتمعات القديمة تعج بالنظم الجديدة ولا تتخلى بسهولة عن ما فازت به في معاركها التقليدية السابقة. وكثيراً ما تأتى المعارضة من المحافظين على التقاليد، ومن المناضلين المتطرفين الذين لا يؤمنون بهذا التراث، قديماً كان أوجديداً. وكثير ما أساء هؤلاء المتطرفين فهم

الغرض الفعلي لسياسة عدم الاعتداء، لأنهم لم يدركوا أن النضال المسلح يؤدي في آخر الأمر إلى الكفاح السلمي.

لقد قوبل حث الزنوج على حمل السلاح بالتهليل في أول الأمر، لكنه انتهى دون أن يترك أى بارقة أمل في نجاح قد يأتى، فى حين أن الذين نادوا بحمل السلاح لم ينجحوا في حل مشاكلهم، لأنهم اكتفوا بالتهليل دون رغبة أكيدة في أن يدخلوا في معركة خاسرة تعود عليهم بالهلاك، ذلك أنهم قد حاولوا أن يتغلبوا على موقف سلبي بسلاح سلبي، بل وأنهم أيضاً لم يتصلوا بالتكتلات الجماهيرية بطريق مباشر ليدفعوها على العمل بحيث تستلفت أنظار غالبية الشعب. وعلينا أن نلاحظ أيضاً أن المحافظين الذين ينصحون (بالتريث) والمتطرفين الذين يطلبون منا أن نهاجم العالم بالسوط، يقفان على طرفي نقيض، ولو أن بينهما نقطة تشابه عجيبة، فكلاهما فاشل لأنهما كليهما لم يصلا إلي قلوب الجماهير المتعطشة للحرية.

إن اختلاف الزنجي في اعتناق مبدأ الاعتداء عقب حركة مونتجمري يرجع إلي أن فئة من الناس أشاعت بين الجماهير، مبدأ عدم الاعتداء على التشريع، علي الرغم من أن هذا قد أفاد قضية الزنوج حتى منتصف القرن الحالي. ومما لا شك فيه أن الشقاق بين جنود الجيش يؤدي إلي هزيمتهم، وقد تسبب كل من الزنوج والبيض - على السواء - في نشر البلبلة بين جنود الجيش وتشويه الحقائق بسبب تضارب الآراء في اختيار الدفاع أوالمهاجمة بالنسبة لمبدئي العمل المباشر أوالتشريع.

إن العمل المباشر لا يمكن أن يحل محل التشريعات، كما أن قيام

مجلس المدينة أو الهيئات التشريعية، أو الكونجرس بإصدار قوانين جديدة، أو رفع قضايا، كل هذا لا يتعارض مع قيام الجماهير بالمظاهرات للمطالبة بحقوقهم المهضومة، بل إن العكس هو الصحيْح.

فكرة الاعتصام

ولعل التسلسل التاريخي لمظاهرات الاعتصام، تؤكد هذه النظرية فقد نشأت فكرة الاعتصام فجأة وتركزت فى إطار المقاومة السلبية، والتى أدت إلي إدماج وتوحيد مئات من البيئات بأسرع وقت ممكن. ومع ذلك فقد تصدي لتلك النظرية الكثيرون من الزنوج وشنوا الإتهامات ضد المتظاهرين، لكنهم أعلنوا أنه على الرغم من أن تكديس السجون بالمتظاهرين، إلا إنه من الضروري ألا يترك هؤلاء المسجونين ضحية إخلاصهم، بل يجب تطبيق القانون بطريقة بناءة، بحيث يمكن الإثبات أن رجال الحكومة الذين يقومون بتلك المظاهرات، إنما يستغلون قوي الأمن ليحرموا الزنجي من حقه في رعاية القانون له. وبالفعل ترتب على تطبيق تلك النظرية أن كثيراً من الحالات أصبحت خاضعة لتطبيق البند الرابع عشر المعدل من القانون[4]. واستند الربط بين العمل المباشر والتشريع، إلي سوابق قانونية فتحت المجال أمام عملية التطهير من العنصرية على نطاق واسع.

أما السبب الآخر للتأخير في تطبيق الخبرات المكتسبة من حركة

---

[4] Fourteenth Amend ment

مونتجمري ، فهو الشعور بأن تلك الحركة كانت ظاهرة محلية، وأن الزنوج لن يوافقوا أبداً على القيام بتضحيات متطرفة من هذا القبيل. وعندما إتضح في عام 1962م إبان حركة ألباني بمقاطعة جورجيا، أن عمليات القبض على المتظاهرين وسجنهم فشلت جاء في الجرائد وبطرق مختلفة وغيرها أن المقاومة السلبية أصبحت غير مجدية على الإطلاق.

إن نقاط الضعف التي تخللت حركة ألباني تقع نتائجها على كل الذين ساهموا في تلك الحركة. وكنا نتوقع أن يسفر مجهودنا عن نكسة مؤكدة. فمن المعلوم أن النضال الثوري لا يقدر له النجاح تلقائياً. كمن يضغط على زر كهربي ويمسك بالأسلاك. والبشر - على ما فيهم من أخطاء - هم القوة المحركة لنشاط المجتمع، يخطئون أحياناً، ويكتسبون خبرة من أخطائهم، إلي أن يكتشفوا السبيل إلي التعايش الجماعي. فالزمن والعمل هما الرائدان في تلك التجارب.

فعندما وضعت الخطة لحركة برمنجهام، قضينا ساعات في تقييم حركة ألباني ومحاولة الانتفاع من الأخطاء التي حدثت، وساعدنا هذا التقييم، ليس فقط على وضع خطة جديدة أكثر فاعلية، بل وضح لنا كذلك أن تجربتنا في ألباني أبعد ما تكون عن الفشل. حقيقة أن المطاعم الشعبية بقيت خاضعة للتمييز العنصري، إلا أنه من جهة أخري أمكن لآلاف من الزنوج أن يسجلوا اسماءهم بجداول الانتخابات. وكان من جراء هذا، أن أصبح كل مرشح من العنصرين المتزمتين يجد أمامه منافساً من المرشحين المعتدلين. وأسفر ازدياد عدد الناخبين من الزنوج أن فاز المعتدلون في الانتخابات على منافسيهم

من العنصريين في مدينة ألباني، ووجدوا الطريق ممهداً للفوز كذلك في الانتخابات العامة بالولاية، ومجمل القول، أنه نجح في انتخابات ولاية جورجيا[5] أول حاكم يتعهد باحترام القانون وتطبيقه (بالنسبة للزنوج).

لم تفشل حركتنا في ألباني، وذلك أن السلطات بالمدينة اضطرت إلي إغلاق المنافع العامة، إلا أن تلك السلطات أربكت نفسها، إذ عرقلت مصالح البيض، بينما كانت تستهدف في الواقع عرقلة تقدم السود.

وذكر بعضهم قول صامويل جونسون بأن "الحدائق بمثابة رئتي المدينة"، وأن مدينة ألباني يجب أن تعود إلي التنفس حتى إذا احتاج الأمر إلي "إدماج" الهواء نفسه بين البيض والسود.

ولوأننا سلمنا جدلاً بأن المقاومة السلمية فشلت، لأمكن القول بأن ذلك يثير الشك، كما أن المبادرة في الحكم ضد نظرية معينة، لهوفي الواقع مهاجمة وليس استنتاجاً حكيماً.

لقد أثبتت حركة ألباني مدي استجابة الزنوج العجيبة الخارقة لحركة المقاومة السلمية. فقد دخل السجون حوالي 5٪ من الزنوج بمحض إرادتهم، ولوحدث أن ضعف هذه النسبة من سكان مدينة نيويورك قبض عليها، لفاضت السجنون بحوالي 50.000 زنجي. وإذا تيسر لشعب أن يدخل 5٪ من أفراده في السجن عن طيب خاطر، لمجرد الدفاع عن قضية عادلة، فلا يمكن لأي قوة أن تقف في طريقه

[5] ولاية جورجيا عاصمتها مدينة ألباني.

إلي النصر.

وإذا كان المنشقون على سياسة عدم العنف أخطأوا، فيجب على المؤمنين بنظرية الكفاح السلمي الجديد ألا يبالغوا في تقييمها. وعندما نتحدث عن ملء السجون بالنزلاء، فإنما نتحدث عن نظرية تخطيط يجب أن نطبقها بمرونة. فالرجل الذي يقدر المسئولية لا يفكر في أن يملأ السجون جميعها في أى وقت يرغب فيه. والقادة الذين لا يقدرون الظروف، إنما يقحمون أنفسهم فى الطريق الوعر، لأن ملء السجون يترتب عليه أن يتخلى آلاف من الأفراد عن أعمالهم بل وأنهم يخاطرون بفقد مراكزهم نهائياً، وأن يتخلوا عن مسؤولياتهم، بصفتهم أناساً قضوا كل حياتهم في ظل القانون.

إن الزنوج ليسوا فوق مستوي البشر، بل لهم شخصياتهم المختلفة، ومصالح مالية متباينة، وآمال وآلام. منهم الذي لا يكافح، ومنهم الانتهازيون الذين يربحون من وراء جهاد غيرهم، ومنهم الذين يتعاونوا مع أنصار العنصرية. إلا أن هذا كله لا يدعو إلي القلق، لأن أي أقلية من الشعوب فيها ما فيها. وبالإضافة إلي ذلك، فإن التمييز العنصري والفقر أشبه بالمعول الهدام إلي أن يشوه ويفسد أخلاق البشر.

ولقد أثبتت تجارب الحياة في عام 1963م، أن من بين الزنوج أبطالاً وجماهير كريمة الخلق، كما أن منهم من فقدوا الإيمان والتقوى.. وأخيراً اختفي الشك الذي انتاب الملايين بالنسبة لفاعلية مبدأ عدم الاعتداء، وآمن الزنجي أنه لو استطاع أن يثبت ما لهذا المبدأ من قوة كاسحة، لأمكنه أن يقدم للعالم أجمع مثالاً لنضالهم.

ولذلك فإن مدينة برمنجهام فريدة من نوعها إذا ما قورنت بغيرها من مدن الدولة. فهي أكبر مدينة صناعية في الجنوب، وأصبحت في الثلاثينات شعاراً لسفك الدماء، عندما بدأ تنظيم إتحادات العمال. وهي المدينة التي وطئت على أرضها حقوق الإنسان بالإقدام لزمن طويل، حتى أصبح الخوف والاضطهاد في جوها مثل دخان مصانعها تماماً، وكانت اقتصاديات برمنجهام متداخلة في شبكة كبيرة تتشعب نحو الشمال.

ولهذه الأسباب أصبحت هذه المدينة أنسب ميدان للصراع المباشر القائم على مبدأ عدم العنف. وفي صيف 1963م نهض جيش لا يحمل من السلاح إلا سيف النضال السلمي الذي أذل به أقوي وأقدر وأقسى مجموعة من العنصريين في تلك البلاد.. وكتب لبرمنجهام أن تبدو فيما بعد في جومشبع بالسلام، لكن الزنوج لم يصبروا.

أصبح انتصار نظرية عدم الاعتداء، والعمل المباشر، حقيقة لاريب فيها.

آمن بها أهالي برمنجهام، وأدي ذلك إلي تغير شامل في طريقة النضال في سبيل الحقوق المدنية. وهكذا صمد مبدأ عدم الاعتداد.

الفصل الثالث

سيد برمنجهام

بوول كونورسيد برمنجهام

إذا أتيحت الفرصة لأى فرد اليوم لزيارة برمنجهام، وقبل الثالث من أبريل، في أثناء الاحتفال بمرور مائة عام على تحرير الزنوج السود، لاعتقد أنه في مدينة بقيت حبيسة لعشرات من السنين وهي تغط في نومٍ عميق كأهل الكهف. مدينة لعل سكانها القدامى لم يسمعوا أبداً عن "إبراهام لنكولن" و" توماس جفرسون"، ووثيقة حقوق الإنسان، ومقدمة الدستور، وما أدخل عليه من تعديلات (الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر)، أو قرار 1954م الذي أصدرته محكمة العدل العليا بالولايات المتحدة، والذي ينص على عدم شرعية التفرقة العنصرية بالمدارس التابعة للحكومة.

وإذا تخيلت نفسك مكان زنجي ولد وشب لسن البلوغ في برمنجهام، لوجدت أمامك الصور التالية:

أن الطفل يولد بالمستشفي الخاص بالزنوج، لأبوين غالبا ما

يقيمان بمنطقة العزل للملونين، ثم يلتحق بعد ذلك بمدرسة خاصة بالملونين كذلك. ولا يمكن القول بأن سكان المدينة الأولين لم يسمعوا بقرار المحكمة العليا بإلغاء العنصرية في المدارس. لكنهم أعلنوا العصيان منذ أن صدر ذاك القرار، والتزموا بما تنبأ به أحد الموظفين الرسميين بقوله": إن الدماء ستجري في الشوارع قبل أن يوافق أهالي برمنجهام على إدماج البيض والسود"

وخلال فترة طفولته غالباً ما يلعب الطفل في الشوارع، لأن الحدائق الخاصة بالملونين على درجة من القذارة تثير التقزز. وعندما صدر قرار إلغاء العنصرية في الحدائق العامة، أغلق البيض حدائقهم أمام الزنوج، وسرحوا فريق لعبة البيسبول (Base ball) حتى لا يضطروا إلي إدماج أطفال الملونين مع أطفالهم.

ولا سيما إذا ذهب هذا الطفل مع أبويه لشراء بعض الحاجيات، وجد أنهما يجتنبان قسماً معيناً بالمحال، وإذا شعر بجوع أوعطش، فعلي الطفل أن يصبر إلي أن يعود إلي حي الزنوج بالمدينة، لأنه من المحظور أن يقدم المأكل إلي الزنوج على نفس المنضدة التي يجلس عليها البيض!

وإن كانت عائلة هذا الفتى تواظب على الذهاب للكنيسة، فعليهم أن يتوجهوا إلي كنيسة السود. أما إذا ذهبوا إلي كنيسة البيض، فإنهم يقابلون بامتعاض وقد يزجر. ذلك أن المواطنين البيض يصرون على أنهم مسيحيون لكنهم في نفس الوقت يطبقون مبدأ العنصرية بتزمت في داخل بيت الله، كما يفعلون تماماً.

أما إذا كان هذا الطفل يحب الموسيقي، ويتشوق للاستماع إلي أوبرا المترو، ما استطاع أن يفعل، ليس هو فقط، بل ولا أحد من البيض أنفسهم، لأن المترو بوليتان شطبت مدينة برمنجهام من برامجها، بعد أن قررت ألا تعرض أية حفلات أمام جمهور يطبق مبدأ التفرقة العنصرية.

وإذا حاول هذا الفتى أن يشارك في أعمال الإتحاد الوطني لتقدم الملونين، ما استطاع أن يشترك في الفرع المحلي بالمنظمة، إذ إن السلطات في ولاية ألاباما نجحت في عرقلة أعمال تلك الهيئة والحد من فرصة الانتفاع منها لخدمة حقوق الإنسان، وذلك بأن أعلنت (السلطات) أن هذه المنظمة غير وطنية، وبالتالي فإن أي نشاط لها يعتبر نشاطاً غير مشروع.

وإذا أراد الفتى أن يلتحق بعمل في مدينة برمنجهام، كأن يعمل بواباً مثلاً، أوعاملاً بسيطاً. وإذا ساعده الحظ وتم تعيينه، فعليه أن يتوقع أن تحسين حالة العاملين والترقيات والعلاوات لا نصيب له فيها، فهي توزع على البيض ممن يقومون بنفس العمل، حتى إذا كان هو أكثر مهارة منهم. ويأكل العامل الملون بمكان خاص، ويشرب من صنبور خاص، ويستعمل دورة مياه معينة "على عكس الملونين"، وذلك بناء على تعليمات عامة تطبق في كل أنحاء المدينة.

وإذا كان فتانا يؤمن بما جاء في كتب التاريخ، وما تذكره عن حرية أفراد الشعب في اختيار حكامهم في أمريكا - من يعمل منهم بالمدينة أوالولاية أو في أي مكان بالدولة، فسرعان ما يخيب ظنه إذا ما حاول أن يُسجل اسمه بجداول المرشحين للانتخابات، وسوف يجد

أمامه جميع العقبات التي قد لا تخطر له على بال بمجرد أن يذهب إلي صناديق الاقتراع.

أوجين بوول كونور

قبل عام 1963م كان عدد الزنوج الذين يقترعون 1.000 فقط من 80.000 وهومجموع عدد سكان برمنجهام، ومعنى ذلك أن خمس تعداد المدينة يمثل ثمن الذين يدلون بأصواتهم من الزنوج في الانتخابات.

هذه المدينة التى تسودها الوحشية في معاملة الزنوج كحقيقة قائمة لا جدال فيها، كذلك كان يجد "أوجين بوول كونور"، أحد الأعضاء العاملين في شئون البلدية، وهو رجل من العنصريين المتعنتين، ومن الذين يفخرون بأنه يعرف كيف يعامل هذا "الزنجي" ويضعه في مكانه. وبحكم عمله كمسئول عن الأمن العام، ليحتفظ كونور بمنصب رئيسي كهذا ولعدة سنوات لعب في أثنائها دوراً هاماً، حيث كان يتباهى في الإعلان عن احتقاره لحقوق الزنوج وتحديه لقرارات وسلطات الحكومة الفيدرالية.

كذلك تجد نفسك في جو تسوده القسوة والقلب الغشوم، فكثيراً ما قام العنصريون هناك بإرهاب الزنوج ومهاجمتهم، بل ويقتلهم دون خوف ولا وجل ولا رقيب ولا مُحاسب لهم.

وعلى سبيل المثال، مأساة الزنجي الذي اكتشفت جثته ملقاة على طريق لا يسير به الناس كثيراً، وكانت الجثة مشوهة بالخصاء، فكانت

منازل الزنوج كلها عرضة للهجوم والرمى بالقنابل والنار. فمن عام 1957م إلي يناير 1963م، بينما كان الرأي العام في برمنجهام يدعي ويقول أن الزنوج "راضون عن مصيرهم" فقد كان هناك بل وسجل سبعة عشر حادثاً لإلقاء القنابل على كنائس السود ومنازل رواد الدفاع عن الحقوق المدنية. ولم يقتصر الأذى إبان حكم بوول كونور على الزنوج فحسب، بل وقعت عليه أيضاً مسؤولية إلقاء القبض في عام 1961م على مدير شركة الأتوبيس المحلية (الأبيض عندما استجاب للقانون وسمح للزنوج بركوب السيارات على قدم المساواة مع البيض.. ومع أن قاضي المنطقة الفيدرالي أدان بوول كونور بحيثيات قاسية في حكمه، وأمر بالإفراج عن المتهم، إلا أنه وفى عام 1963م لم يكن في برمنجهام أية منافع عامة يستعملها البيض والسود معاً، إلا شركة الأتوبيس، والسكة الحديد، والمطار.

وحدث أيضاً إبان حكم كونور أن أحد أعضاء مجلس الشيوخ بالكونجرس، جاء إلي برمنجهام ليلقي خطاباً، وكان وهو يمر على باب عليه لافتة تحدد أن هذا الباب "خاص بالملونين" فقبض على الزائر لإخلاله بالتقاليد العنصرية !!

نعم كان الخوف يسود المدينة في تلك الفترة. خوف لم يقتصر على السود فحسب، بل تعداهم أيضاً إلي البيض الذين يضطهدونهم. ويرجع السبب في ذلك إلي أن البيض كان يساورهم شعور بالذنب، وبالإضافة إلي ذلك، كان يعتريهم شعور برعب خفى تجاه أي تغيير قد يحدث بسبب رد الفعل من إناس قد تجمدت عواطفهم من طول الانتظار.

وكان كثير من البيض يخشون حكم الرأي العام، فقد كان في برمنجهام إناس معتدلون لا يوافقون على تصرفات كونور، وكان بالمدينة العديد من البيض ذوي النفوس الكريمة الذين يكرهون سراً إيذاء الزنوج، لكنهم يصمتون في العلانية. نعم، كان صمتهم هذا وليد الخوف، الخوف من الاضطهاد والنبذ اجتماعيا وسياسياً واقتصادياً. وأسوأ ما في مأساة برمنجهام لم يكن في وحشية الرجل الظالم، بل في صمت الرجل الطيب.

ولوأقمت في برمنجهام، لوجدت (بني جنسك) يعيشون في حالة رعب دائم، بسبب طغيان الرجل الأبيض، والشعور بالنقص. لعرفت أنك تعيش بمدينة يرفض ممثلوا السلطات الاقتصادية والسياسية فيها مجرد الحديث عن العدالة الاجتماعية مع القادة (السود) من بني جنسك.

مكتبة الرمحي أحمد

إنها لمدينة بها أكبر هيئة للأمن تحت رياسة "جورج دالاس" الذي أعلن عند قيامه بالعمل بأن شعاره هو: "التفرقة العنصرية اليوم، وغداً، وإلي الأبد"

وكان الخطر يهدد سلطات البيض في برمنجهام، ذلك أن مقاطعة أتوبيس مونتجمري ، أدت إلي قيام مظاهرات عديدة للاحتجاج في مدن متعددة بالجنوب، وقد كان القس "فريد شاتلورث"، وهو من أشجع المجاهدين لتحرير الزنوج والذى سبق وأن نظم في ربيع عام 1956م حركة ألاباما المسيحية لحقوق الإنسان. فقد كان رجلا نحيلا نشطاً لا يعترف بالهزيمة ولا اليأس، وقد وطد العزم على أن يغير النظام في برمنجهام، وأن يضع حداً لحكم كونور العنصري الإرهابي.

وعندما نظم "شاتلورث" تلك الحركة، سرعان ما انضمت حركته إلي الخمسة والثمانين فرعاً بمؤتمر قادة الجنوب المسيحيين، واعتبرهم كونور، مجرد شرذمة من الزنوج المشاغبين، وكان شاتلورث يعنى مما يقوله تماماً وتمت حركة ألاباما المسيحية لحقوق الإنسان نمواً مطرداً، حتى أصبحت قاعدة وهى الأساس لحركة زنوج برمنجهام، والتى جعلت تنظم الاجتماعات للجماهير في كثير من الكنائس. وكانت الاجتماعات دائماً مكدسة بالجماهير، وبدأت الحركة عن طريق المحاكم، بإرغام المدينة على أن تتراخي في تطبيق السياسة العنصرية، فأقامت دعوى للمطالبة بفتح محال وأماكن الترفيه العامة لكافة السكان دون استثناء. وعندما خسرت المدينة تلك القضية أمام المحكمة - قرر المسئولون - من العنصريين - إغلاق الحدائق العامة حتى لا يتيحوا لأطفال الزنوج فرصة التمتع واللعب بها، وهذا مع العلم بأن الضرائب تفرض على البيض والسود سواء بسواء.

بدأ طلبة كلية مايلز وفي أوائل عام 1962م سلسلة من مقاطعة التجار البيض والمقيمين في الأحياء الشعبية بالمدينة، وقد انضم شاتلورث وأتباعه من قادة حركة ألاباما إلي هؤلاء الطلبة، وقد ساعدوهم على دفع زنوج برمنجهام على الانسحاب من الحوانيت التي هى على صلة بالعنصرين بأي شكل كان، مثل تلك التي يرفض أصحابها أن يوظفوا الزنوج للعمل بها، إلا في الوظائف التي هى من أدني المستويات، أو حتى أن يرقوا الزنوج، أو الذين يرفضون تقديم وجبات الطعام للسود في المطاعم الشعبية. وأسفرت تلك الحملة عن هبوط الدخل في بعض المحال إلي معدل 40٪ ، فكان

فريد شاتلورث يسير بالحملة قدماً، لكن مدينة برمنجهام، ويوول كونور نهضا للدفاع مستميتين للاحتفاظ بالأوضاع على ما هي عليه.

وظلت منظمة المؤتمر القيادي في أطلانتا، ظلت تراقب كفاح فريد شاتلورث بإعجاب. فتقول: كنا نعلم أنه ضحي براحته الشخصية في الكفاح بالمعركة التي يقودها، فقد أودع السجن مراراً، وألقيت القنابل على منزله وكنسيته، ومع ذلك رفض أن يتقهقر.

وقد أصبح تحدي ذلك القس المقدام مصدراً لتشجيع الزنوج في أنحاء الجنوب كله.

وفي مايوعام 1962م اجتمع مجلس إدارة منظمة المؤتمر بمدينة "شاتانوجا" وقررنا أن نبحث بصفة جدية مسألة الانضمام إلي حركة شاتلورث ومنظمة المؤتمر للقيام بحملة موحدة ومهاجمة العنصرية في برمنجهام. وتصادف أن اخترنا تلك المدينة لعقد اجتماعنا السنوي المقبل في شهر سبتمبر، وعقب اجتماع مجلس الإدارة. انطلقت الإشاعات في برمنجهام معلنة أن منظمة المؤتمر قررت بصفة نهائية أن تساند شاتلورث في كفاحه، وأتخذت الإشاعات صورة جدية، حتى أن الجريدة اليومية ذكرتها على صفحاتها. وكان من جراء ذلك أن رجال الأعمال في برمنجهام من الذين كانوا يتمسكون بسياسة تجاهل موضوع الإدماج، قد بدءوا يفكرون فيه بصفة جدية، وانتهى بهم الأمر إلي ضرورة إتخاذ خطوات حاسمة لمواجهة الموقف قبل أن يتأزم.

ويدأ رجال الأعمال مباحثاتهم مع منظمة حركة ألاباما المسيحية لحقوق الإنسان قبل المؤتمر بعدة أسابيع، واجتمع بأعيان لجنة البيض كل من شاتورث، ود / لوشيوس عميد كلية مايلز، وأ. ج. جاستون وهو من كبار أثرياء رجال الأعمال وصاحب فندق جاستون، وآرثر شورز وهو ذو خبرة واسعة في قضايا الحقوق المدنية، والقس إدوارد جاردنز نائب رئيس منظمة حركة ألاباما، وجون درو سمسار التأمين. وبعد عدد من الاجتماعات انتهى الفريقان إلي اتفاقات أساسية، وكخطوة أولي وافق بعض التجار على رفع لافتات الحظر[6] عن حوانيتهم، كما وافق رجال الأعمال على أن ينضموا إلي منظمة حركة ألاباما ليرفعوا دعوى بطلب إلغاء تعليمات مجلس المدينة التي تنص على حظر الإدماج في المطاعم، وكان يظهر في ذاك الوقت أن الأمل قد نفذ إلي برمنجهام.

ورغم أن الزنوج وافقوا على تلك التعهدات بتحفظ، إلا أنهم قرروا أن يتركوا الفرصة أمام التجار لكي يظهروا نواياهم الطيبة... ودعا شاتلورث إلي عقد مؤتمر صحفي أعلن فيه تأجيل مقاطعة البيض أو القيام بمظاهرات، مؤقتاً. وحرصاً على موقف منظمة حركة الاباما، أوضح أن منظمة مؤتمر القيادة التي انبثقت منها منظمته هو، سيحضر أعضاؤها إلي برمنجهام حسب التخطيط الموضوع، كذلك أخطر رجال الصحافة بأن أعضاء منظمة المؤتمر القيادية سيعودون عقب انتهاء الجلسات إلي مدينة الصلب للقيام بحملة إذا لم ينفذ رجال الأعمال والتجار تعهداتهم.

---

6 Tim eraw Signs

وكان بوور كونور يصدر تصريحات تنذر بالشر تجاه اجتماعات المؤتمر المرتقب. وعندما أدرك أن تهديداته لا جدوى منها، لجأ إلي إرهاب الصحافة وهددهم بسحب بطاقاتهم(كصحفيين زائرين)، لأنه أدرك بأن دعائم العنصرية ستتداعى في برمنجهام مالم يمكنه اجتناب الكشف عنها علناً.

وعقد المؤتمر القيادي في سبتمبر في ميعاده المحدد، وما لبثت مخاوف شاتلورث أن تحققت، إذ عادت شارات المقاطعة إلي الظهور في الحوانيت وسادات الأخبار بأن بوول كونور أنذر بعض التجار بسّحب تراخيصهم إذا هم توانوا في إعادة تلك الشارات إلي حوانيتهم. وأتضح أن التجار لم يكن في نيتهم أن يتمسكوا باي من وعودهم وأن ما تظاهروا به في أول الأمر من تعاون مع السود لم يكن إلا تحايلاً لتفادي قيام المظاهرات في أثناء وجود منظمة المؤتمر القيادية في المدينة. وبعد إتصالات تليفونية طويلة بين برمنجهام وأطلانتا، انتهى بنا الأمر إلي ضرورة القيام بالحملة المقترحة بكل صفوفنا موحدة.

كنا متفقين في الرأي مع شاتلورث بأن حملة برمنجهام سوف تكون أشد حملات الدفاع عن الحقوق المدنية، وإذا نجحت، فسوف تقصم ظهر العنصرية في إتخاذ البلاد كلها، فقد كانت مدينة برمنجهام على الدوام شعاراً للعنصرية والتعسف، ولعل انتصار الزنوج في هذه المدينة بالذات يحرك قوي قد تحول إتجاهنا في الكفاح للحرية والعدالة. ونظراً لإيماننا بأهمية العملية التي ستنجز في برمنجهام فقد قررنا أن نبذل أقصي جهدنا في تخطيط سير العمل.

وقد شرعنا في إعداد كشف "سري جداً" اسميناه مشروع C وهوأول حرف لكلمة Confrontation[7].

وإعداداً لحملتنا هذه، جلسنا ثلاثة أيام لإعداد الاجتماع في مركزنا للتدريب بالقرب من سافانا بولاية جورجيا. ثم شرعنا في وضع البرنامج الزمني وبحث أية احتمالات قد تحدث، فقد لاحظنا من خلال خبرتنا في حملة ألباني أن تشتيت جهودنا كان من أخطائنا الرئيسية، وفشلنا أيضاً في توجيه احتجاجنا بسبب انشغالنا بمهاجمة العنصرية بصفة عامة دون تركيز. وبناء على ذلك، قررنا أن نختار نقطة ما نوجه إليها ضربتنا، وفي برمنجهام بالذات ركزنا نضالنا في مجال التجارة، لعلمنا أن الزنوج لهم النسبة الكبيرة فى القوة الشرائية، وأن مقاطعتهم للشراء من البيض تؤدي إلي خسائر ملموسة لهم، وكانت المطاعم الشعبية أول أهدافنا، إذ كنا نشعر بمهانة عندما نرى البيض يبيعوا لنا كافة أنواع السلع في جميع المحال، لكنهم لا يسمحون لنا بشراء طعامنا من تلك المطاعم.

وبعد مرور أسبوعين في مركز التدريب، ذهبت إلي برمنجهام بمصاحبة مساعدي القدير القس ويأت ت. ووكر، وصديقي المخلص الذي لازمني في حملة مونتجمري القس رالف آبرناتى أمين الصندوق بمنظمة المؤتمر القيادية، وكان الغرض هو توجيه جمهور كبير من الزنوج وإعدادهم للحملة التي سيقومون بها، والتي ستكون دون شك طويلة، وشاقة وخطيرة.

---

[7] تعنى كلمة Confrontation مواجهة أو مجابهة والغرض منها هنا مقاومة العنصرية بمدينة برمنجهام والمطالبة بالعدالة في معاملة الشعوب على السواء.

ثم اجتمعنا في الحجرة رقم 30 بفندق جاستون موتيل بمنطقة الزنوج المحرمة، وهي التي كنا نقيم بها أنا ورالف، والتي أصبحت مقراً لقيادة الاجتماعات الإستراتيجية في الشهور التالية، وصارت فيما بعد هدفاً للقنابل في ليلة 11 مايو الذي يوافق اليوم السابق لعيد الأم.

وكان أول قرار أتخذه هو تحديد تاريخ البدء بمشروع G. وكان الهدف الضغط على التجار، حيث نبدأ الحملة قرابة موسم عيد الفصح، أي في ثاني موسم من العام لأن فيها تزداد حركة الشراء. فإذا شرعنا في العمل في أول أسبوع من شهر مارس يتبقي لنا ستة أسابيع يتم فيها تعبئة جماهيرنا قبل العيد في 14 أبريل، ولكن بلغنا أنه فى الخامس من شهر مارس على وجه التحديد ستتم الانتخابات، لاختيار عمدة المدينة.

وكان من أوائل المرشحين ألبرت بووتويل وأوجين بوول كونور، وشوم كنج، وكلهم من أنصار العنصرية، وقد رشحوا أنفسهم ليحافظوا على الوضع الراهن، وكان كل من بووتويل وكنج يعتبران من المعتدلين إذا ما قورنوا بأوجين كونور. وكنا نأمل أن يفشل كونور في الانتخاب حتى لا نضطر إلي الاصطدام به، لذا، قررنا أن نؤجل العمل وأن نبدأ المظاهرات بعد نهاية الانتخابات بأسبوعين.

عاد ويات ووكر إلي برمنجهام ليجهز للحملة. ومنذ ذلك الوقت أصبح يقوم بزيارات دورية إلي برمنجهام دون أن يعلن عن ميعاد حضوره وقام بتنظيم "وحدة" للتنقلات، ووضع خطة دقيقة فعالة لعملية المقاطعة. فكان عمله يتضمن استشارة المحامين عن قوانين

المدينة الخاصة بالمقاطعة، والقوانين الخاصة بالمظاهرات..إلخ، وجمع البيانات عن دفع الكفالات والإنذارات التي ستواجهنا لا محالة.

قام "ويات" بدراسة المجتمع في برمنجهام، وبمسح المدينة. وإمكانيات الوصول إليها والخروج منها، ووضع لها خرائط، بل وقام بجرد عدد من المناضد والمقاعد كي يحدد عدد المتظاهرين الذين سيتوجهون بكل منها. كان المسح الذي قام به يشتمل على تحديد أهداف ثانوية إذا ما منعت الظروف وصولنا إلي الأهداف الرئيسية، وتجمعت كل الخيوط، وكان هناك 250 متطوعاً للقيام بالعمليات الأولية، حيث تعهدوا على البقاء في السجن خمسة أيام على أقل تقدير.

وكانت هناك عقبة جديدة نتيجة لانتخابات 5 مارس بسبب تعادل الأصوات، مما ترتب عليه إعادة الانتخاب بين المرشحين في أول أسبوع من أبريل وكنا نأمل أن يكون التعادل بين بوتويل وكنج، إلا أن التصفية النهائية بين المرشحين كانت من نصيب بوتويل وكونورز.

ومرة أخري اضطررنا لإعادة التنظيم الإستراتيجي، فلوأننا لم نتحرك أثناء إعادة انتخاب كونور وبوتويل، لاستغل كونور الموقف لصالحه في إثارة الشعور والقيام بحملة لإقناع البيض بأنه لا أحد غيره يستطيع أن يحافظ على سياسة التمييز العنصري بصفة رسمية في المدينة. بل يمكن القول بأن أي بادرة منا في ذاك الوقت ربما تحولت لمصلحة كونور وساعدته على الفور في الانتخاب، وقد قررنا أن نؤجل مظاهراتنا إلي ما بعد إعادة الانتخاب بيوم. وكان علينا أن نعمل بسرعة حتى نستطيع أن نؤثر في مشتريات عيد الفصح.

تركنا برمنجهام والحزن ملء قلوبنا خوفاً من أن يؤدي هذا التأجيل إلي ضياع جهدنا دون نتيجة، فقد تركنا من خلفنا المائتين والخمسين متطوعا الذين انضموا إلينا ووافقوا على أن يسجنوا، وها نحن مضطرون لأن نقطع صلتنا بهم لعدة أسابيع. ومع ذلك لم نجرؤ على البقاء في برمنجهام، وكنا قد اتفقنا على ألا يعود أي فرد من أعضاء منظمة المؤتمر إلي برمنجهام، إلا بعد انتخابات التعادل.

وفي فترة الانتظار أدركنا أنه من الضروري ان نحصل على مساندة كبار الشخصيات في الدولة، فأرسلنا خطابات شخصية لجمعية إتحاد تقدم الملونين، وإلي مؤتمر المساواة بين الأجناس، وإلي لجنة الطلبة لتنسيق المؤتمر الإقليمي السلمي الجنوبي، وفي تلك الرسائل ذكرنا أننا قد نحتاج إلي معاونتهم، واتبعنا نفس الطريقة مع خمسة وسبعين من قادة الأديان والمذاهب المختلفة الذين سبق لهم أن انضموا إلي حركة ألباني.

وفي مدينة نيويورك وافق هاري بيلا فونت - وهوصديق قديم يساند منظمة المؤتمر على عقد اجتماع بمنزله، وحضر الاجتماع خمسة وسبعين من سكان المدينة هم خليطاً من أصحاب المهن المختلفة، فمنهم رجال الصحافة (الذين نفذوا تعهدهم بان لا يذيعوا أي خبر عن هذا الاجتماع، إلا بعد بدء الحركة)، ومنهم رجال الدين والأعمال، ومهنيون، وممثلون غير رسميين من مكاتب وأجهزة عمدة المدينة، وروكفلر المحافظ.

وفي الاجتماع تحدثنا أنا وشاتلورث عن المشكلات القائمة في برمنجهام، وعن سبب تأجيلنا للعمل حتى تنتهي الانتخابات،

وتصميمنا على تنفيذ خطتنا، سواء كان الفوز من نصيب بووتويل اوكونور.

كانت آثار الجراح التي أصابت شاتلورث في المعارك السابقة تنم عن خطورة الموقف، وعن الحملة التي أصبحت وشيكة الوقوع. ومع أن كثيراً من الحاضرين سبق لهم العمل مع منظمة المؤتمر القيادية في الماضي. إلا أنه ساد الصمت بين المجتمعين وكأنهم صدموا بخير جديد قاله شاتلورث "عليكم أن تستعدوا للموت قبل أن تبدءوا في الحياة". وعندما انتهى من خطابه كان السؤال السائد هو: "ماذا علينا أن نفعله لمساعدتكم؟"

وأجبنا أننا سنحتاج إلي مبالغ طائلة من المال لدفع الكفالة للذين سوف يعتقلون، وقد يحتاج الأمر إلي جمع الإعانات.

وفي الحال كون هاري بيلا فونت لجنة لهذا الغرض، وقدمت التعهدات بدفع مبالغ من المال في نفس الليلة، وفي الأسابيع الثلاثة التالية، كرس بيلا فونت وقته دون قيد أو شرط لتنظيم عملية جمع المال.

وكذلك كانت هناك اجتماعات مماثلة مع اثنين من أقوي الهيئات باعاً: مؤتمر القيادة المسيحية الغربية في لوس أنجلوس، ومؤتمر فرجينيا للقيادة المسيحية في رتشموند.

وتعهدت الهيئتان بتقديم كافة سبل التعاون بمعاونة الإتحاد الوطني لتقدم الوطنيين وهيئات محلية أخري. جمع المؤتمر الغربي خلالها حوالي 75.000 دولار، وهو أكبر مبلغ أمكن جمعه في اجتماع واحد

لمساعدة منظمة المؤتمر القيادية. وقد انضم كثير من هؤلاء الرجال إلي صفوفنا فيما بعد.

وبعد هذه الاتصالات كان الوقت قد أزف للعودة إلي برمنجهام، وبدأنا محاولة الإتصال شفوياً بالمائتين والخمسين متطوعاً ليحضروا اجتماعا لا يعلن عنه مقدماً، وحضر حوالي خمسة وستين منهم فقط.

الفصل الرابع

النور والإشراق

يوم جديد يشرق على برمنجهام

ظهرت جريدة برمنجهام نيوز في يوم الأربعاء الموافق 3 أبريل وعلى صفحتها الأولي صورة بعنوان "يوم جديد يشرق على برمنجهام" وكان هذا للاحتفال بفوز ألبرت بووتول بمنصب عمدة المدينة في انتخابات التعادل النهائية. كان البهاء الذهبي الذي يشع من الصورة يوحي بأن الصفاء بين أجناس الشعوب المختلفة وشيك إلى أن ينزل على أرض المدينة.

ورغم التفاؤل الذي أبدته الصحافة وغيرها، كنا على تمام الثقة بأن ألبرت بووتويل - على حد قول شاتلورث البليغ - ليس إلا صورة مهذبة من بوول كونور. وكنا نعلم أيضاً أن عضو مجلس الشيوخ السابق والذي كان يشغل منصب نائب رئيس الولاية كان هو المسئول الأول عن قانون توزيع التلاميذ في الاباما، وأنه دأب على مساندة التمييز العنصري، أما قوله بعد الانتخابات بأيام قلائل "إننا نحن أهالي برمنجهام نحترم ونفهم بعضنا بعضاً" فهو دليل على أنه

لا يفقه شيئاً عن حوالي خُمسٍ أهالي برمنجهام الذين لا يمكنهم أن يعتبروا التمييز العنصري دليلاً على احترام الغير لهم حتى وإن تصرف العبريون معهم بآداب.

وعلى الرغم من نتيجة انتخابات التعادل، أعلن كبار موظفي الأمن بالمدينة، بما فيهم بوول كونور، أن القانون لا يجيز نقلهم من مراكزهم حتى عام 1965م، كما أعلنوا أنهم سيلجأون إلي القضاء للاحتفاظ بمراكزهم، ورفضوا التخلي عن مناصبهم في مجلس بلدية المدينة. فإن كسبوا قضيتهم، فإنهم سيثبتون في مناصبهم لمدة عامين آخرين. وإذا خسروا فإن مدة خدمتهم تنتهي في 15 إبريل، أي بعد حلول عيد الفصح بيوم. ففي كلتا الحالتين كان علينا أن نواجه الظروف في مدينة تخضع فعلا إلي حكومتين متضاربتين.

كنا قدرنا تحديد أيام قليلة فقط للاعتصام بالجلوس. وأن نبدأ العمل في نطاق محدود كي نقلل من عدد الذين سوف يقبض عليهم يومياً. وهذا التقتير في الجولة الأولي سيساعد على بناء وتنظيم حملتنا. لذلك كانت المظاهرات في أول الأمر منظمة تنظيماً جيداً. وبناء على البرنامج الزمني الدقيق الذي وضعناه، قامت مجموعات صغيرة بسلسة من الاعتصامات بالجلوس في المطاعم الشعبية والحوانيت والأجزاخانات. وكان يقبض على المتظاهرين الذين يرفضون ترك أماكنهم باعتبارهم خارجين على القانون.

لم تقع أحداث تستحق الذكر ولم يتوقع كونور أوغيره من التجار أن تمتد هذه البداية الهادئة على صورة عملية واسعة النطاق.

وبعد اليوم الأول من الحملة، عقدنا اجتماعا عاماً كان الأول من خمسة وستين اجتماعا آخر عقدت في كنائس متعددة للزنوج، واستطعنا أن نشحن الطاقة التي كهربت جالية الزنوج بأجمعها. كان للاجتماعات الجماهيرية طابعها الخاص، إذ كانت تضم أفراداً من أرقي عناصر القائمين بحركة الحقوق المدنية.

كان من بين هؤلاء: رالف آبرناني الذي كان يجمع بين خفة الظل وروح الإلهام، بحيث ينهض بمستمعيه إلي أعلي درجات الحماس، وكلما وقف يخطب بينهم بوجهه الضاحك، وكان من بينهم أيضاً ويأت ووكر الشاب المتفاني الذي يضفي على الاجتماعات روحاً وقادة لا يكلون عن العمل. أما فريد شاتلورث فكان الجميع يقدرون تصميمه وإصراره على الكفاح واستعداده على المشاركة في كل أنواع التضحية، وكان لا يطالب أحداً بالقيام بأي عمل إلا وهو أول المساهمين فيه. ومع أنني شغلت في أثناء الأسبوع الأول، إلا إنني قمت بإلقاء الخطب كل ليلة في الاجتماعات الجماهيرية، وكنت أتحدث عن فلسفة عدم العنف وطريقة تنظيمها. وبالإضافة إلي الخطباء النظاميين، كان بعض الخطباء المحليين يعتلون المنصة من وقت لآخر ليصفوا حالة الظلم والتحقير التي يعيشها الزنجي في برمنجهام، كما أن بعض خطباء من جهات أخري في البلاد كانوا يأتوننا برسائل التأييد والترحيب.

ولعبت أناشيد الحرية دوراً هاماً في تلك الاجتماعات، فهي تعبر عن روح الزنوج، كانت تلك الأناشيد قديمة تعود بنا لذكري أول عهد الزنوج في أمريكا، فقد اقتبست من أغاني العبيد عندما كانوا

يعبرون بها عن آلامهم أو مرحهم، وأصبحت الآن تعبر عن دعوتنا إلي الكفاح. لقد سمعت الناس يتحدثون عن الوحدة الموسيقية في هذه الأناشيد، أما بالنسبة لنا فإن جمالها يرتكز في كلماتها التي تعتبر إلهاماً. فنحن أيضاً نعيش في نوع من الاستعباد، وأناشيدنا تزيد من إصرارنا وأملنا بأننا "في يوم ما سننتصر، سود وبيض معاً، سننتصر في يوم ما"

وقفت مرة أنشد في اجتماع مع مئات من الشباب، وعندما وصلنا إلي المقطع الذي نقول فيه: "لن أسمح لأي من كان بأن يجعلني أحيد عن غايتي" لم تكن تلك مجرد كلمات ننشدها، بل كانت قراراً إتخذناه. وما كدنا ننتهي من الغناء حتى رأيت هؤلاء الفتية صامدين أمام كلب البوليس الذي أطلق عليهم. وقد وقفوا ثابتين في مواجهة بوول كونور العاتي وهوعلى رأس رجالة المدججين بخراطيم الماء. إن هذه الأناشيد تربط بيننا وتمنحنا الشجاعة وتساعدنا على السير مترابطين.

وعند نهاية الاجتماعات كنا أنا وآبرناتى وشاتلورث ننادي بطلب المزيد من المتطوعين للعمل في جيشنا السلمي موضحين أننا لن نسمح لأي فرد بأن ينضم إلي المظاهرات ما لم يقتنع ويثبت لنا أنه يستطيع أن يصمد وأن يتحمل الأذى دون أن يرد عليه بالمثل. وطالبنا المتطوعين بالتخلي عن أي سلاح لديهم، واستجاب مئات لندائنا، وحتى الذين احتفظوا منهم بمطواة أوبمدية الكشافة أو أي نوع آخر من المدى، فقد فعلوا هذا لاستعمالها ضد كلاب كونور دفاعاً عن أنفسهم فقد، وهكذا أقنعنا المتظاهرين أننا لا نحتاج إلي

أي سلاح على الإطلاق، إذ إن في يدنا أمضي سلاح، وهوعقيدتنا بأننا على حق وأننا نهتم بالوصول إلي هدفنا أكثر مما نهتم بالمحافظة على أرواحنا.

التطوع والوصايا العشر

كانت الدعوة للتطوع فى الحملة كدعوة القسيس إلى المصلين. وسمينا هؤلاء العاملين جيش الحركة، جيش من نوع خاص مؤونته الإخلاص، رداؤه العزيمة والإصراره، ذخيرته الإيمان والحب، وماله الضمير الحي. جيش يتقدم دون أن يبطش، يفنى ولا يعرف القتل، يحطم معاقل الحقد ويحاصر قلاع العنصرية وشعارها، جيش يدين بالولاء لله، ويعتمد على إرشاد الضمير في كل أعماله.

وبينما الأعمال مستمرة، ومعركة الدفاع عن مصير برمنجهام تزداد نشاطاً وسرعة، حتى إنها لفتت أنظار العالم، فكان الكثيرين من الحشود والمتطوعون يزدادون كل يوم فى العدد، عدداً أكثر، وكانت الاجتماعات تكتظ بالمحاضرين، فكان الرجال والنساء والأطفال يتقدمون ليشدوا على أيدينا ثم يتحولون إلي مؤخرة الكنيسة نحو لجنة رواد التدريب لتحديد موعد حضورهم إلي مكتبنا في اليوم التالي، حيث يتم اختبارهم وتدريبهم بطريقة سرية ومركزة.

كانت جلسات التدريب تلك، تستهدف إعداد المتظاهرين لمواجهة بعض هذه الصعوبات التي قد تصادفهم، فكان يعرض عليهم وصف للألفاظ النابية والاعتداءات الجسمانية التي سيتعرضون لها على أيدي

رجال البوليس، أو هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم أوصياء على القانون. وكأن على المتظاهرين - في تلك الحالات - أن يمضوا في طريقهم دون أن يلجأوا إلي العنف، وأن يقاوموا دون غضاضة، وأن يتحملوا الإهانة والغضب دون أن يردوا عليها، وأن يصبروا على الضرب والمهانة دون أن يحركوا ساكناً. كان أعضاء منظمة المؤتمر القيادية، يعملون بإيمان نابع عن تجاربهم السابقة، وكان من بينهم القس جيمس لوسون الذي طرد بضع سنوات من جامعة فاندر بيلت بسبب نشاطه في الدفاع عن الحقوق المدنية، وهو من أبرز قادة الحركة السلمية، ومنهم القس جيمس بيفل وهورائد اكتسب خبرة واسعة إبان حركات ناشفيل وجريسنوود وغيرها، ومنهم زوجة هذا الأخير ديانا ناش بيفل التي أصبحت - أيام كانت طالبة بجامعة فسك - رمزاً للزنجية الشابة المناضلة، ومنهم القس برنارد لي الذي بدأ في الدفاع عن الحقوق المدنية إبان كان رائداً لحركة الطلبة بكلية ألاباما، ومنهم القس آندي يونج منظم برامجنا الموهوب، ودوروتي كوتون رئيسة برنامج التربية المدنية، وقد ساهمت إلي حد بعيد بقدرتها على الغناء.

ولم يتمكن كل الذين تقدموا للتطوع من أن يمروا باختبار الدقيق، بحيث ينضموا إلي باقي المتظاهرين، ومع ذلك بقي أمامهم أوجه نشاط عديدة أخري بدلاً من التعرض للاعتداء الجسماني في أثناء المسيرة، مثل حمل الرسائل والقيام بالاتصالات التليفونية، والطبع على الآلة الكاتبة... إلخ. فإذا كان المتطوع غير مهيأ للمسيرة، أمكن الانتفاع به فى المجالات الأخرى لخدمة الحملة، وكان على

كل متطوع أن يوقع على بطاقة تحمل التعهدات الآتية:

أتعهد أنا (ـــ) أن أكرس نفسي جسماً وروحاً لخدمة الحركة السلمية، ولذا فإني سأراعي الوصايا العشر التالية:

1- أتأمل يوماً تعاليم السيد المسيح وحياته.

2- أتذكر دائماً أن حركة عدم العنف في برمنجهام تهدف إلي العدالة والتصالح وليس النصر.

3- أن أسير مع الآخرين وأتحدث إليهم بحب فإن الله محبة.

4- أن ابتهل إلي الله يومياً أن يجعل منى أداة لتحرير كافة البشر.

5- أن أضحي برغباتي الشخصية ليصبح البشر أحراراً.

6- أن أراعي دائماً قواعد الأدب التقليدية في معاملاتي مع الصديق والعدوعلى السواء.

7- أحاول جاهداً أن أقدم خدماتي بصفة منظمة للغير وللعالم أجمع.

8- اجتنب العنف، سواء كان هذا عن طريق اليد أواللسان أوالقلب.

9- أبذل الجهد لأحافظ على سلامتي روحاً وجسداً

10-أتبع إرشادات الحركة ورائد المظاهرة

إني أوقع على هذا التعهد بعد أن قررت بصفة جدية ما أنا مقبل عليه، وسأداوم بتصميم وعزيمة على تنفيذه.

الاسم

العنوان

رقم الهاتف

الأقرب من الأهل

وإلـي جانـب اشـتراكي بالمظـاهرة، اسـتطيع أن أعـاون الحركـة في الأعمال التالية:

(توضع دائرة على موضوع الاختيار).

القيام بحمل الرسائل – قيادة سيارتي – إعداد الغذاء للمتظـاهرين – أعمال كتابية – مكالمات تليفونية – تلقي الإشـارات التيلفونيـة – ميمـوجراف – الآلـة اكاتبـة – طبـع اللافتـات – توزيـع الكتبيـات والمنشورات.

حركة ألاباما ومنظمة المؤتمر القيادية

يقول: ف. ل شاتلورث. الرئيس

كنت أنوي أن أدفـع بنفـسي إلـي الـسجن بعـد بدايـة المظـاهرات بيومين أوثلاثة، ولكن إتضح لي بعد عودتي إلي برمنجهام، أن هناك مشكلة يجب أن أحلها قبل أن يقبض علي.

وكنا قد اضطرنا فيما سبق إلـي تعـديل البرنـامج الـزمني مـرتين، وكان علينا – لأسباب إستراتيجية، أن نتراجع عن العمل إلي ما بعـد انتخابات التعادل، ومن جراء هذا التغيير، فقدنا رابطة الإتصال ببـاقي

الزنوج في برمنجهام لعدة أسابيع. وعند عودتنا وجدنا المدينة مقسمة إلي حكومتين متطاحنتين، وكان شعبنا مفككاً لدرجة أننا قوبلنا بمعارضة شديدة من بعض القساوسة الزنوج والفنيين بالمدينة. ولم تكن تلك المعارضة لعدم رغبة الزنوج في التحرير، بل كانت ترجع إلي أسباب أخري متعددة.

إن الزنجي في برمنجهام، شأنه في ذلك شأن أي زنجي آخر في أنحاء البلاد، درب بمهارة بحيث يخضع لنظرية الرجل الأبيض التي تعتبر السود دون مستوي البيض من البشر. ومع أن الزنجي يرغب في قرارة نفسه أن يؤمن بعكس ذلك، إلا أنه كان لا يدري من أين يبدأ ولا كيف يعالج كل الأوضاع التي دفعته لأن يتبع أسهل الحلول بالخضوع إلي تلك النظرية. وعلى الرغم من وجود استثناءات لتلك النظرية، مثل اعتراف مجتمع البيض بأمثال: رالف بانش، وجاكي روبسون، وماريان أندرسن، إلا أن هذه الاستثناءات لم تكن في نظر الزنجي إلا دليلاً علي إثبات القاعدة.

وهناك عامل آخر أثر على تفكير بعض القادة الزنوج في برمنجهام، ألا وهوالشعور بأننا لم نحسن اختيار الوقت المناسب لقيام الثورة، وأنه كان من الأفضل أن نعطي بووتويل الفرصة لكى يثبت حسن نواياه. وكان من أوئل الذين أغرقوا في نقدهم لنا بهذا الشأن النائب العام روبرت كنيدي، كذلك قامت جريدة واشنطن بوست - وهي التي غطت أنباء برمنجهام من أول الحملة - قامت بمهاجمتنا يومياً في مقالها مندددة بسوء اختيارنا للتوقيت المناسب لقيام الثورة، وفي الواقع، أخذت كافة الجرائد الأخرى في البلاد

موقفاً سلبياً تجاهنا، وصورتنا كأننا إناس متهورين، لا يقدرون أويتحملون أى مسؤولية، وقد أفحموا أنفسهم في مشكلة ضخمة، بينما تعد برمنجهام العدة لتصبح جنة الله في أرضه... وتلاشت تلك الرؤيا وذهبت أمام احتجاجنا المفاجئ.

كنا نحظى في مونتجمري - بمؤازرة صحافة الدولة من أول الأمر وذلك أثناء مقاطعة الأتوبيس، وأثناء حملة ألباني بولاية جورجيا. أما في برمنجهام فقد اختلف الوضع. ومن البديهي أن قيام حركة مثل تلك التي نشرع إلى القيام بها، يصبح أمراً عسيراً جداً، ما لم تجد المسانده من صحافة البلاد لكى تقاوم هجمات الصحافة المحلية.

وصارت جملة "سوء التوقيت" هذه أشبه بشبح يحوم حوله كل تحركاتنا كالبوم الذى يحوم حول الجثث. ومع ذلك، فإن الذين يتهموننا بسوء اختيار الوقت، كانوا يجهلون السبب الذي دفعنا إلي ذلك العمل، وقد سبق لنا أن اضطررنا لتأجيل الحملة مرتين وقد كانوا لا يعلمون أننا هجمنا في الوقت المناسب، بحيث نؤثر في عملية المشتريات قبل عيد الفصح. وأخيرا، لم يدركوا أن من السخف أن يتحدث المرء عن مسألة التوقيت، بينما عقارب ساعة التاريخ تشير بأن الزنجي قد فاته القطار والزمن بمائة سنة قضاها في العذاب.

وقد كان كثيراً من رواد الزنوج قد تأثروا بوضع الحكم القائم، بل وكانوا أيضاً غارقين في حالة من التفاؤل المضلل بالنسبة للأحداث المستقبلية في برمنجهام وذلك تحت الحكم الجديد. ونظراً لأن الوضع كان معقداً لعدة سنوات مضت، وأغلب الظن أنهم كانوا يشعرون بأن أي تغيير الأن يعتبر خطوة جبارة نحو سلم الإصلاح، وأخيراً، وكان

كثير منهم يعتقدون أن الحالة سوف تتحسن بمجرد أن تتلاشي سلطة بوول كونور.

وهناك سبب آخر لهذه المعارضة التي واجهتنا من الزنوج أنفسهم، فقد انتاب بعضهم الغضب لأننا لم نطلعهم علي تاريخ البدء في العمل أو الترتيبات الإستراتيجية التي سنتبعها، وأحسوا أننا نجرهم إلي عمل لم يشاركوا في تنظيمه، دون أن يدركوا أننا اضطررنا للتكتم على خطتنا بسبب الحالة السياسية المحلية.

وقد كنا نهدف إلي إيجاد تغيير اجتماعي كبير لا يمكن أن يتحقق إلا بتوحيد الصف وكل الجهود، ومع ذلك كنا فى شقاق مع بعضنا البعض، ولم يكن من الممكن أن نصل إلي هدفنا في مثل هذا الجو. لذلك قررنا أن نقوم بحملة خاطفة وسريعة للاجتماع بالهيئات والقادة الزنوج المحليين، حتى يمكننا أن نجند كافة الشخصيات الرئيسية وكل المجموعات كى ندفعهم إلي معاونتنا.

لذلك، قمت مع الأعضاء العاملين بإلقاء خطب لعدد كبير من المجموعات الزنوج في برمنجهام، وهم حوإلى مائة وخمسة وعشرين شخصاً من رجال الأعمال والفنين، وقد تم الاجتماع في مبني "جاستون"، كما تحدثت مع مائتي قسيس، واجتمعت بمجموعات أصغر. وكان ذلك خلال أسبوع واحد تحت ضغط شديد لضيق الوقت. وفي أغلب الحالات كان يواجهني جو متأزم مُعاد، وأدركت أنه ينبغى أن أقوم بمجهود أكبر.

ودخلت في الموضوع مباشرة وأوضحت لكل من رجال الأعمال

والمواطنين السبب الذي اضطررنا من أجله لأن نبدأ في العمل في سرية تامة دون أن نطلعهم عليه، وتناولت موضوع التوقيت، وأكدت لرجال الدين ضرورة وضع توجيهات اجتماعية مكملة للتعاليم الدينية، ونوهت بان الدين إذا ما دفع بالقسيس إلي تمجيد السماء دون أن يلقي بالا إلي الأوضاع الاجتماعية، فهو دين "جاف مثل التراب" يجعل البشر يعيشون على الأرض في جحيم. وطالبت رجال الكهنوت راجياً بأن تزداد قيادة القسيس قوة، وأوضحت أن رجل الدين له حرية واستالاً في التعبير عن رأيه من أي شخص آخر في بيئتنا. وقلت إنه لن يتاح للزنجي أن يحصل على حريته أبداً، مالم يقم القادة الروحيون بتوجيهه ومساندته وإلهامه وتحديب الذين يعتبروني دخيلاً عليهم، فأشرت إلي حركة ألاباما المسيحية لحقوق الإنسان التي يرأسها شاتلورث، وهي فرع من منظمة المؤتمر القيادية بالجنوب، وكيف أن شاتلورث وزملاءه دعوا منظمة المؤتمر للحضور إلي برمنجهام، وأنني باعتباري رئيساً لتلك المنظمة، قبلت الدعوة وحضرت لمساعدة منظمة شقيقة.

"الدخيل" وناقوس المقاطعة

وتحدثت عن موضوع "الدخيل" الذي استهلك بحثاً وتعليقاً وهو موضوع كنا نصدم به أينما ذهبنا لتقديم المساعدة، وقلت إن كل زنجي بل كل أمريكي أيا كان مركزه أومستواه المالي أومكانته، ونوع العمل الذي يقوم به، لا يمكن أن يكون دخيلاً، طالما يوجد طفل أسود في ميسيسبي أو ألاباما أو جورجيا محروماً من العزة

والكرامة.

وكان رد الفعل العجيب لحركة برمنجهام وثورة الزنوج الكاسحة، قد أوضحت للشعب في البلاد بأجمعها أنه لا يوجد في الخمسين ولاية الأمريكية أي دخيل. فعندما يغرس كلب البوليس أسنانه في قدم طفل أمريكي صغير في برمنجهام، فإنما يغرس أسنانة في أقدام الأمريكيين جميعاً. وعندما يدق رجل ما الناقوس للقيام بأعمال الوحشية، فهو لا يدقه ضد رجل واحد، بل يدقه لك ولي ولنا أجمعين.

وبقوة الله استطعت أن أحول روح الغضب، والشك، وسوء الفهم التي واجهتني في ذاك الأسبوع إلي إيمان وحماس. كنت أحدث المستعين بقلبي، وفي ختام كل اجتماع عقد، كان يصلني عدد كبير من التعهدات الأكيدة بالمساهمة والمؤازرة.

وبمولد هذه الوحدة الجديدة التي غذتنا بدم فتى قضي على النظام القديم، وكتب لنظام جديد أن يحل محلة رغم أنف بوول كونور وكل قوي التعصب ضدنا.

بعد مضى ثلاثة أيام على الاعتكاف فى المطاعم الشعبية، كان قد تم القبض على خمسة وثلاثين فرداً. وفى يوم السبت الموافق 6 إبريل بدأنا الحلقة الثانية من حملتنا بمسيرة إلى قاعة البلدية. وقام المتظاهرون الذين وقع عليهم الاختيار بالمسيرة بدقة حسب التعليمات تماماً، فساروا فى طابور منتظم مكون من صفين دون أن يحملوا أعلاماً، ودون موسيقى، ودون أناشيد. وعندما وصلوا إلى

المكان المتفق عليه توقفوا صامتين ورفض الرواد الذين معهم بأدب واحترام أن يطيعوا أوار كونور بأن يتفرقوا. على ذلك تم القبض على اثنين وأربعين شخصاً بتهمة (القيام بمظاهرة دون تصريح) وأخذهم رجال البوليس بأدب مذهل إلى سيارات السجن، ومن ناحيتهم أطاعوا دون مقاومة، وكانوا ينشدون ويصفقون لأبطالهم الذين سيسجنون، فقد كانوا في نظر أصدقائهم أبطالاً فعلا. وحدث شئ ما فى نفسية زنوج ألاباما، وانتابت حالة ثورية أذهان وقلوب وأرواح الزنوج فى أمريكا بأكملها.

ومنذ ذلك الوقت ازدادت المظاهرات قوة، وأتضح دون أى شك أن مقاطعتنا لتجار المدينة أثرت فيهم بشكل مذهل. وقبل عيد الفصح بأسبوع أثبت الحصر الدقيق أن الزنوج الذين دخلوا هذه المحال يقدرون بأقل من عشرين ألف نسمة. وإبان هذا كله استطعنا - بمساعدة بعض المتطوعين الذين كان عددهم يزداد يوميا - أن نشن حملات على أهداف أخرى مختلفة مثل: السجود فى الكنائس، والاعتكاف جلوسا فى المكتبات، والمسيرة نحو مبنى البلدية لنسجل حملة لافتتاح القيد للانتخابات. وكانت السجون فى هذه الأثناء تمتلئ ببطء ودون توقف.

دهش سكان برمنجهام البيض والسود على السواء للطريقة التى تمالك بها رجال كونور أعصابهم فى بداية الحملة، ومع أن الكلاب والهراوات لعبت دورها فى البداية فى بالم بيتش، إلا انها ظهرت فى ذلك اليوم لفترة وجيزة ثم اختفت بسرعة وفى الواقع، لم يلاحظ الذين يراقبون الحركة أن رئيس البوليس كان يحاول أن يتبع سياسة

لورى بريتشيت فى ألبانى، فقد رأى هذا الأخير أنه إذا أمر رجال البوليس باجتناب العنف ربما أفادت هذه الطريقة فى التغلب على مظاهرات الزنوج، ومع ذلك، كما إتضح فيما بعد، فإن مستر كونور لم يتمسك طويلا بسياسة عدم العنف مع الزنوج، فالكلاب تعوى عن قرب فى حظائرها، وخراطيم الماء معدة.... لكن هذا موضوع آخر سوف نعود إليه.

وكان من الأسباب الأخرى التى جعلت كونور لا يستعمل العنف فى أول الأمر، اعتقاده أن التقشف هو الطريقة الجديدة للخروج من هذا المأزق. واتضح هذا فى العاشر من شهر إبريل عندما حصل مجلس المدينة على حكم يأمرنا بوقف نشاطنا إلى أن تبت المحكمة حقنا بالقيام بهذه المظاهرات.ولكى نحبط خطتهم بعملية مضادة، فبعد يومين قمنا بعمل جرئ لم نقم به من قبل. أى أننا لم نرضخ لأمر المحكمة.

ولم نتخذ هذا القرار إلا بعد تفكير عميق، وكنا قد بحثنا بمنزل بلافونت مسألة تحدى القانون المدنى، وبعد أخذ رأى بعض أصدقائنا المقربين، قررنا أن نخرج على القانون. وقد يرى البعض أن هذا القرار ليس من الحكمة فى شىء، وانه يتعارض مع التقاليد الخلقية، ومع ذلك كنا نشعر أننا على حق فى هذا التصرف.

وعندما صدر قرار محكمة القضاء الأعلى بتطهير المدارس من التمييز العنصرى أقسم العنصريون بأن يحبطوا مفعول هذا القانون لمدة (قرن بالاستئناف بالحاكم) وكان لهذا التحدى معنى أعمق بكثير عما يتخيله الكثيرين. ذلك أن الإنذار القانونى أصبح هو

الأداة الرئيسية بالجنوب لسد الطريق أمام العمل بـالحقوق المدنيـة، إذ يُحرم على المواطنين الزنوج وحلفائهم من البيض أن يتجمعـوا وهـو الحق الذى حصلوا عليـه بمقتـضى التعـديل الأول للقـانون. (وعلـى سبيل المثال) فإننا إذا بدأنا فى مظاهرة سلمية، تصدر السلطات إنذارا ضدنا، والأعجب أن محاكم ألاباما لها شهرتها فى (النوم فى القـضايا) التى من هذا النوع، وهذه هى الطريقة الخبيثة العمليـة لقـصم ظهـر الذين يحتجون بوجه حق عادل.

ولهذا توقعنا أن تطبق هذه الطريقة فى برمنجهـام، فقـد لجأ إليهـا البيض لإثبات عدم شرعية إقامة مواقف للسيارات فى أثنـاء مقاطعـة الأتوبيس، كما نجحوا فى هدم حركة الزنـوج فـى تالاديجيـا بولايـة ألاباما، واحبطوا مجهودنا فى ألبانى بولايـة جورجيـا وانتـصروا علـى الإتحاد الوطنى لتقدم الملونين بل وأخرجوهم من ولاية ألابامـا. ومـع علمنا بالنتائج التى تنتظرنا، لم يكن أمامنا إلا ان نتحدى أى إنذار.

وعندما صدر الإنذار ضدنا ذهل أعداؤنا لتمردنا عليـه، إننـا لـسنا إرهابيين، ننادى بعدم احترام القانون، لكننا إنـاس أدركـوا أن محـاكم ألابامـا أسـاءت اسـتعمال القـانون لظلـم العنـصرية. لـذلك لم يعـد بالمستطاع أن نطيع أوامر المحكمة ونرضى ضمائرنا فى ذات الوقت.

وبعد عشرة أيام من قيام أول مظـاهرات، تم القـبض علـى حـوالى خمسمائة من المتظاهرين، وأطلق سراح بعـضهم بعـد دفـع الكفالـة، وبقى حوالى ثلاثمائة بالسجن. ونظراً لأن عملية توحيد الزنوج تمـت، أصبح الوقت ملائماً لنعـرض أنفـسنا لاعتـداء البـيض. واخترنـا أنـا ورالف آبرناتى يوم الجمعة الحزينة – لما يرمز إليه ذلك اليوم.

وبعد أن صحت نيتنا فى الثانى عشر من شهر إبريل، وصلتنا رسالة خطيرة كادت أن تودى بالحركة كلها إلى الهلاك، ذلك أن المسئول الذى كان يقوم بدفع الكفالة لمن يسجن من المتظاهرين، أعلننا أنه لن يستطيع أن يداوم على الدفع، لأن البنك أعلن بأن رصيده غير كاف لذلك. ومن الواضح أنها كانت مجرد محاولة أخرى لعرقلة حركتنا.

كانت هذه لطمة لها الأثر الكبير، وقد صرفنا كل ما لدينا لدفع الكفالات، وشعبنا فى السجن، ونحن مسئولون عنه، بالإضافة إلى خمسين آخرين من الأفراد سيسجنون معنا أنا ورالف، وستكون حينئذ أكبر مجموعة يقبض عليها حتى ذاك التاريخ. فكيف نضمن الإفراج عنهم ما لم تكن لدينا التسهيلات اللازمة لدفع الكفالة؟.

وجلست فى الصباح المبكر من يوم الجمعة الحزينة فى الحجرة رقم 30 بفندق جاستون، وجلست أبحث عن حل أنا وأربعة وعشرين من المسئولين الرئيسيين. وبينما كنا نتحدث، شعرنا بالفجيعة. ونظرت حولى فوجدت (هؤلاء الرجال) الذين يعتبرون من أخلص القادة قد ساورهم شعور باليأس. ولم يعرف ولو واحد منهم ماذا يقول، ولا أحد منهم كان يدرى ماذا يستطيع أن يفعل. وأخيرا تكلم أحدهم.

قال: (يا مارتين معنى هذا الوضع أنك لا تستطيع أن تدخل السجن، فنحن فى احتياج إلى المال الكثير ونحتاجه فوراً، وأنت الوحيد الذى له إتصلات يمكن أن تحصل عن طريقها على المال: فإذا دخلت السجن ضعنا نحن وضاعت معركة برمنجهام وللأبد).

وجلست وأنا أشعر بأعينهم وهى تراقبنى. وفكرت فى السجناء. وفى زنوج برمنجهام المتراصين فى شوارع المدينة وهم يتوقعون أن يرونى عندما أنفذ ما ناديت به من قبل. كيف أفسر لسكان المدينة سر عدم القبض على؟. وماذا يكون حكمهم على رجل شجع المئات من الأفراد على القيام بتضحية مذهلة ثم اعتذر عن التضحية عندما جاء دوره؟.

وتحول تفكيرى إلى الجهة الثانية: لوفرضنا ودخلت السجن، ما الذى سيحدث لثلاثمائة مسجون؟. ومن أين يأتى المال؟ وما الذى سيحدث لحملتنا؟. من من الزنوج سيوافق على أن يسجن دون أن يعرف متى يستطيع أن يتحرر ثانية تحت شمس برمنجهام، هذا إذا خرج من السجن أصلاً؟

وجلست وسط سكون مرير مررت به فى حياتى وفى خلدى أن فى المجالات القيادية فترة يشعر فيها الرجل أنه يقف بمفرده وجهاً لوجه مع نفسه، على الرغم من وجود أصدقاء أوفياء من حوله.

واتجهت إلى حجرة أخرى، ووقفت فى وسطها وكأنى أقف وسط كافة الظروف التى صاغت وجودى على الوضع الذى أنا فيه. وفكرت فى الأربعة والعشرين رجلا الذين ينتظرون فى السجن. وفكرت فى بيئة الزنوج التى تترقب الأحداث، ثم قفز تفكيرى إلى أبعد من فندق جاستون وأبعد من سجن المدينة، وأبعد من حدود الولايات، وفكرت فى العشرين مليوناً من السود الذين يحلمون باليوم الذى يستطيعون فيه أن يعبروا إلى ما وراء بحار الظلم حتى يصلوا إلى أرض السلام، حيث الحرية والحياة على قدم المساواة مع

البيض.

السجن

اتضح الموقف أمامى. وخلعت قميصى و(بنطلونى)، وارتديت ملابس العمل واتجهت إلى الحجرة الأخرى حيث أخبرت أصدقائى بأننى قررت أن أدخل السجن.

قلت لهم: (لست أدرى ما الذى سيحدث، ولست أدرى من أين سيأتينا المال، لكنى اعتمد على إيمانى بالله).

والتفت نحو رالف آيرناتى قائلاً:

(أدرى أنك ترغب أن تكون فى كنيستك فى يوم الأحد لعيد الفصح، لكنى أطلب منك أن تأتى معى إلى السجن).

ووقف رالف دون أن يتردد واشتبكت أيدينا جميعاً، وارتفع صوت خمسة وعشرين رجلا فى الحجرة رقم 30 بفندق موتيل ينشدون نشيد القتال: (سننتصر).

وركبنا السيارات من الفندق إلى كنيسة تل تزايون، حيث ستبدأ المسيرة. كان على الطريق عدة مئات من الزنوج خرجوا ليرونا، وارتفعت آمالى، ثم تركنا الكنيسة حيث كان يلتقى أفراد مجموعتنا الخمسون وتوجهنا نحو الشارع المحظور علينا السير فيه والذى يفضى إلى القطاع الخاص بالبيض. وكانت مسيرة جميلة، فقد صرح لنا البوليس بأن نتمادى فى سيرنا إلى أبعد مما كان يسمح به من قبل.

وكان الزنوج متراصين على جانبى الطريق. كنا ننشد وينشدون معنا، ومن وقت لآخر كان بعضهم يصفقون.

وعندما اقتربنا من منطقة البيض. أمر بوول كونور رجاله أن يلقوا القبض علينا. وانقض عملاقان من رجال البوليس على وعلى آبرناتى وأمسكا بنا وبقميصنا من الظهر، ثم ألقى القبض على باقى المجموعة بسرعة. ووضعنا أنا وآبرناتى بمعزل عن باقى المسجونين، ثم فصلنا عن بعضنا البعض فيما بعد.

بقيت فى السجن الانفرادى دون أية صلة بأحد لمدة أربع وعشرين ساعة. لم يصرح لأحد بزيارتى حتى المحامى، وكانت تلك أطول وأقسى ساعات قضيتها فى حياتى. ونظراً لأنه لم يعد لى أى إتصال بأحد، بدأ القلق يساورنى كيف حال الحركة؟ أين سيجد فريد المال اللازم للإفراج عن المتظاهرين؟ وماهى الحالة النفسية عند الزنوج؟.

ورغم أنه لم يعتد أحداً من السجانون على جسمانياً، إلا أن بعض الموظفين كانوا على درجة ملموسة من الصفاقة وبذاءة اللسان... إلا أن هذا أمر كان متوقع فى سجون الجنوب. وعندما تشرق الشمس فى الصباح، كانت ترسل أشعتها خلال النافذة التى كانت بأعلى الجدار فى زنزانتى الضيقة التى أصبحت محل إقامتى. كنت فعلا قلقاً، ومع ذلك فالظلام ليس مجرد ظاهرة يغيرها الاضطراب النفسى. وأيا كان السبب، فإنى كنت غارقاً فى الظلام جسماً وروحاً.

عندما تركت منزلى فى أطلانتا منذ بضعة أيام، كانت زوجتى

كوريتا قد وضعت المولود الرابع، ومع أننا كنا سعيدين، شعرت كورا بخيبة الأمل، لأن الوليدة أعاقتها عن مرافقتي في نشاطي. كانت زوجتي ملهمتي ومصدر قوتي إبان حركة مونتجمري وسبق أن قامت بدورها في حركات ألاباما وجورجيا، وكانت على استعداد لأن تذهب للسجن مع باقي زوجات القادة في ذاك الوقت،

وها هي ذي الآن مرتبطة بمنزلها، لا يطيب خاطرها حتى بمكالمة تليفونية من زوجها السجين. وقررت زوجتي يوم الإثنين التالي للقبض على، ضرورة القيام بعمل ما.. تذكرت محادثة الرئيس جون كنيدي لها في أثناء سجني في جورجيا، إبان انتخابات عام 1960م، وقررت أن تخاطب الرئيس كنيدي تليفونياً. وبعد دقائق رد عليها أخو الرئيس – النائب العام روبرت كنيدي – وأخبرته أنني في العزل الانفرادي، وأنها تخشي على سلامتي. ووعدها أن يعمل كل ما في وسعه، وبعد بضعة ساعات خاطبها الرئيس كنيدي بنفسه من بالم بيتش، وأكد لها أنه يبحث الأمر فوراً. ويبدو أن كلا من الرئيس كنيدي وشقيقه إتصلا ببرمنجهام، لأن السجان قد سألني عما إذا كنت أرغب في أن أحادث كورَيتا بالتيلفون أم لا. وفعلاً تحسنت الأحوال عقب تدخل الرئيس كنيدي تحسناً ملموساً.

وبهذا استطاع أورزيل بيلينجسليه وآثور شورز، وهما محامياننا، أن يحصلا على تصريح بزيارتي، بعد ظهر يوم الأحد لعيد الفصح، وأخبراني أن كلارتس ب جونز صديقي ومحامي، سيأتي من نيويورك في الغد. لم أحصل منها على رد للأسئلة التي تعذبني، ولكن عندما وصل كلارتس جونز في اليوم التالي، وقبل أن أعبر له عن سعادتي

للقائه، أخبرني هوبما رفع الكمد عن صدري. قال:

"إن هاري بيلافونت استطاع أن يجمع خمسين ألف دولار لدفع كفالات المسجونين، والمال موجود ويمكنه أن يجمع أي مبلغ آخر تحتاجون إليه"

لم استطع أن أعبر عما خالجني من الشعور، فقد جاءت رسالة جونز بأكثر من أن تطمئني على الحالة الماسة التي نجابهها، بتقدير أعمق لإخلاص الأصدقاء الذين ليسوا بقربنا، وأكثر من ذلك جاءت تؤكد بأن الحياة التي دبت في الحركة لا يمكن أن يخمدها (أي من كان ولا أي زمان ولا مكان).... فقد تبلور أمامي إحساس أنني لم أكن في السجن بمفردي أبداً، فالله لا يعوقه باب الزنزانة ولست أدري إذا كانت الشمس ساطعة في تلك الساعة أم لا، لكنني أعلم أنني استطعت أن أري النور مرة أخري.

الفصل الخامس

رسالة من سجن برمنجهام

وفى 16 أبريل 1963م. كتب "مارتن لوثر كنج" رسالته المشهورة. يقول فيها:

أصدقائي الأعزاء من رجال الدين الأخيار:

أثناء القبض علي فى سجن برمنجهام، استطعت أن أقوم بالإطلاع على تصريح لكم يصف كل ما أقوم به من عمل بأنه تصرف "أحمق غير حكيم جاء في وقت غير مناسب"، ورغم أننى قلما أتوقف لأجيب عن أي نقد لما أقوم به من عمل أو لآرائي، لأنني إذا حاولت الإجابة عن كل ما يرد على مكتبي، ما وجدت الوقت للقيام بأي عمل آخر، ولا الفرصة للقيام بأى عمل بناء. ومع ذلك - إيماناً منى بأنكم رجال مخلصون، وأن نقدكم هذا صدر عن نية حسنة - فإنى سأحاول أن أصبر على تصريحاتكم بقدر ما استطيع. واعتقد أنه من واجبي أن أحدد السبب لوجودي في مدينة برمنجهام نظراً لأنكم تؤمنون بضرورة الإحتجاج على هؤلاء "الدخلاء" لذلك أتشرف بأن أكون رئيس مؤتمر القيادة المسيحية

بكافة ولايات الجنوب، ومقر رئاستها في أطلاتنا، وتتضمن تلك الهيئة خمس وثمانون منظمة في الجنوب، منها منظمة "حركة الاباما المسيحية لحقوق الإنسان" ونحن كثيراً ما نشترك مع بعضنا البعض، حيث تتبادل الهيئات العاملين أو الموارد التربوية والمالية وغيرها. ومنذ عدة أشهر جائنا الأمر أن نكون على استعداد للمشاركة في برنامج العمل السلمي إذا ما احتاج الأمر، وقبلنا ذلك دون أى تردد. وعندما دقت ساعة العمل، كنا عند وعدنا. وهذا هو سبب وجودي هنا أنا وزملائي.

لقد حمل أنبياء القرن الثامن ق. م رسالتهم باسم الله وساروا بها من قراهم إلي ما وراء حدود مدنهم، ومثلما ترك القديس بطرس قريته تارسوس وحمل تعاليم السيد المسيح إلي كافة أنحاء العالم اليوناني /الروماني، كذلك كان على أن أحمل رسالة الحرية إلي خارج مدينتى، لذا يجب أن ألبي النداء دائماً. وبالإضافة إلي هذا، فأنا أعرف العلاقة التي تربط الزنوج في كافة والولايات،

فالظلم، أينما كان، يعتبر خطراً علي العدالة. لأننا قد وقعنا في شبكة لا يمكن أن نتخلص منها، وتلزمنا هذه الظروف بالوحدة. وما يصيب أي فرد منا من شر، إنما يصيبنا جميعا ولو بصفة غير مباشرة. ونحن لا يمكننا أن نتمسك بالآراء القديمة التي تهاجم ما يوصف "بالدخيل" المشاغب، لأن كل الذين يعيشون بداخل حدود الولايات المتحدة من أبناء البلاد ولا يمكن أن ينعت أحد منهم بأنه دخيل بأي حال.

ورغم أنكم تلومونا علي هذه المظاهرات التي تحدث في

برمنجهام، إلا أنه ومع الأسف تصريحكم هذا لا يشير إلي أى اهتمام بالأوضاع التي دفعت إلي قيام تلك المظاهرات. ولا شك أنه ما من أحد منكم يمكنه أن يقتنع بصلاحية أي بحث دون أن يعرف الأسباب التي أدت إلي تلك النتائج. ومن سوء الحظ أن تقوم مظاهرات في برمنجهام، ولكن الأسوأ من هذا أن البيض من الأهالي لم يتيحوا الفرصة أمام السود ليتفادوا تلك المظاهرات.

إن كل حملة سلمية لابد وأن تمر عادة بأربع مراحل أساسية: جمع البيانات للتأكد من وجود ظلم أولا، ثم المفاوضات للتخلص من هذا الظلم، ثم التطهير الذاتي، وأخيراً العمل المباشر. وقد مررنا نحن بهذه الخطوات الأربع في برمنجهام، علماً بأن أهالي برمنجهام غارقون تماماً في بحر العنصرية. بل وتطبق التفرقة العنصرية أكثر من أي مدينة أخري في البلاد كلها، وتاريخها معلوم للجميع حول العنصرية، فالزنوج لم يكن هناك أى إنصاف لهم في محاكمها، والكثير من جرائم إلقاء القنابل على منازل السود وكنائسهم بقيت دون إدانة ولا بت الحكم فيها. وعلى هذا الأساس، حاول قادة الزنوج أن يتفاوضوا مع كبار البيض. كان هؤلاء البيض يرفضون هذا الإجراء دائماً.

وأخيراً، وفي نهاية شهر سبتمبر الماضي، كانت الفرصة أمام قادة الحركة للتحدث مع رجال الاقتصاد في برمنجهام، وفي أثناء المباحثات، قدم التجار بعض التعهدات مثل: رفع الشارات المهنية التي تحرم على الزنوج دخول بعض الحوانيت. وعلى هذا، وافق القس شاتلورث ورواد حركة ألاباما المسيحية لحقوق الإنسان على

تأجيل القيام بالمظاهرات ولومؤقتاً، وعندما مرت الشهور والأيام، عرفنا أننا كنا ضحية لوعود زائفة، فقد رفعت بعض الشارات لفترة قصيرة ثم أعيدت. كذلك لم ترفع بعض المحال الأخري الشارات إطلاقاً.

وهكذا تحطمت آمالنا، ولم يبق أمامنا إلا الإعداد إلى العمل المباشر، بحيث نعرض أجسادنا كمثال حي لقضيتنا أمام ضمير المجتمع المحلي وضمير الدولة، ونظراً للصعوبات التي ستأتى، قررنا أن نقوم بعملية التطهير الذاتي فبدأنا بسلسلة من التدريب مع عدم استعمال العنف، ودائماً كنا نسأل أنفسنا تكراراً ومراراً: "هل أستطيع أن أتحمل اللطمات دون أن أردها بالمثل؟" "وهل أستطيع الصمود على ويلات السجن والتعذيب؟. ولهذا قررنا أن نقوم وبسرعة ببرنامج العمل المباشر في موسم عيد الفصح، فإن هذه الفترة تعتبر أهم فترة للشراء على مدار العام، ولأن مقاطعة الشراء لها رد فعل اقتصادي عنيف.. لإرغام التجار على تغيير موقفهم حسب رغبتنا. ولكن وفجأة تذكرنا أن انتخابات عمدة برمنجهام ستجري في شهر مارس، وبسرعة أجلنا تاريخ القيام بالعمل. وعندما اكتشفنا أن رئيس مكتب الأمن أوجين "بوول" كونور قد ضمن عدداً كافياً من الناخبين ليدخل في انتخابات التصفية، قررنا أن نؤجل تاريخ بدء الحركة مرة أخري إلى ما بعد تصفية الانتخابات النهائية، حتي لا تستغل في الانتخابات، وكنا، نأمل في أن نشاهد هزيمة كونور، وهذا ما جعلنا نتحمل التأجيل المرة تلوالأخري.

وأخيراً، وبعد أن انتهى أمر التصفية النهائية للانتخابات، لم يبق

أي داع لتأجيل القيام بالعمل.

والسؤال الهام هو "ما الهدف من ذلك العمل المباشر؟. والاعتصام جلوساً والمسيرة وكل ذلك... إلخ؟ أليس التفاوض هو أفضل الطرق للوصول إلى هدفنا؟".

إن التفاوض لهو طريقة سلمية صحيحة، وهو في الواقع الهدف وأفضل الطرق للوصول إلي العمل المباشر. والكفاح السلمي المباشر يؤدى إلي خلق أزمة من حالة توتر تتجعلنا نضطر إلى أن نواجه المشكلة القائمة مهما طال رفضها لذلك من قبل. والكفاح السلبي يبلور المشكلة، بحيث لا يمكن أن نتجاهلها. ولهذا فأنا لا أوافق إطلاقاً على إثارة التوتر الذي يؤدي إلي أعمال العنف، ولكني في ذات الوقت أحبذ هذا النوع من التوتر البناء الذي لا مناص من الخوض فيه لنمو المجتمع. وكما أن سقراط كان يؤمن بضرورة إثارة القلق في ذهن الفرد ليدفعه على التخلص من نيران هذه الخزعبلات، وكذلك يجب علينا أن نُحرك الشعور المجتمعى إلي درجة التوتر لنساعد البشر علي التخلص من العنصرية ليرتقوا إلي التفاهم والإخاء.

لذلك، فإن برنامج العمل المباشر يهدف إلي خلق أزمة قد تفتح باب المفاوضة. وقد سألنى البعض: "لماذا لم تعط الفرصة للإدارة الجديدة بالمدينة للعمل؟". وكل ما استطيع أن أجيب به، هو أن الإدارة الجديدة كالإدارة القديمة تماماً، ومن الخطأ أن نظن أن البرت بووتويل سيأتي لبرمنجهام بالخير بعد أن أصبح عمدة. فمع أنه أكثر رقة من كونور، إلا أن كلا الرجلين قد كرسا حياتهما للمحافظة

على الحالة الراهنة.

وأملى الوحيد أن يكون مستر بووتويل على قدر من الحكمة مما يجعله يدرك عدم الجدوي من المقاومة لإدماج البيض والسود، ولكنه لن يدرك هذا إلا إذا تم الضغط عليه من مؤيدوا الحقوق المدنية.

أيها الأصدقاء الأعزاء: إننا لم نحرز أي تقدم نحو حقوق الإنسان، إلا عن طريق قانوني سلمي ولسوء الحظ - أن التاريخ يثبت أن الجماعات المحظوظة لا تتنازل عن امتيازاتها عن طيب خاطر. لكن الجماعات بعكس الأفراد - كما يقول راينهزلر نيبوهر - تميل إلي عدم احترام السلوك الخلقي القويم.

وأنى لأقولها صراحة، أنه لا يمكن تحديد الوقت الملائم للقيام بحملة مباشرة. لقد كنا نسمع كلمة "انتظر" لمدة أعوام، حتي أصبحت عادية، وكادت أن تصبح مرادفة لكلمة "إلي الأبد" لذلك فإننا نوافق على رأي أحد الشرعيين المرموقين والقائل: "إن التسويف الطويل في تطبيق العدالة بمثابة الحرمان منها"

نعم، لقد انتظرنا أكثر من ثلاث مائة وأربعين عاماً لكي نحصل على حقوقنا الدستورية والإنسانية، واليوم تسير شعوب آسيا وأفريقيا بسرعة الصواريخ لتحصل على استقلالها أما نحن فمازلنا نزحف (مثل عربة تجرها الخيل) وببطء، وقد يكون من السهل على الذين لم تصبهم سهام العنصرية بأذي أن يقولوا "انتظر"، ولكن الذي رأي حشوداً غفيرة ترمى أمه وأباه وتفرق أخواته وإخوته عن عمد، ورجال البوليس يملأ قلوبهم الحقد ويلعنون ويركلون ببنى جنسه من

السود، والعديد من العشرين مليون زنجي يختنقون في قبضة الفقر، وسط مجتمع يعيش في الرفاهية، والذي يجد لسانه يرتعش ويتلجلج إذا ما حاول أن يفسر لابنته التي في السادسة من عمرها لماذا لا تستطيع أن تذهب إلي ملهي الحديقة العامة، ثم يري الدموع تذرف من عينيها وهى تعرف أن مدينة الملاهي منطقة محرمة على الأطفال الملونين، ثم يلاحظ الشعور بالنقص في ذهنها الصغير، ويري شخصيتها تتقوض، بينما المرارة تملأ قلبها من البيض، والذي يضطر أن يكذب ليجاوب ابنه أوابنته من هو في الخامسة من عمره عندما يسأله: "لماذا يعامل البيض السود بازدراء يأبي؟"، وإذا ما قام برحلة طويلة في سيارته يجد نفسه مضطراً لأن ينام الليلة تلو الليلة قابعاً في السيارة، لأن الفنادق لا تقبل أن تؤي أى زنجى للمبيت، والذي يشعر بالمهانة يومياً كلما رأي اللافتات المذرية التي تحمل كلمة "أبيض" و"أسود" و"ملون"، والذي يجد أن اسمه يحول إلي "زنجي" أو "ياولد" (بصرف النظر عن سنه) ولا تلقب زوجته أو أمه بكلمة "السيدة"، والسبب أنه زنجي يعيش على أعصابه دون أن يعرف أبداً ما الذي سيحدث له من دقيقة لأخري، بينما يأكله الخوف والرعب، لأنه عبارة عن"كمية مهملة"

إن الذي يمر بتجارب مثل هذه، يسهل عليه أن يفهم لماذا لا نستطيع أن ننتظر!!

وهذا شعور طبيعي، خاصة وإننا ننادي باحترام قرار محكمة القضاء الأعلي الذي صدر في عام 1954م، والذي يُحرم التمييز العنصري في المدارس الرسمية. ويبدو هذا النداء مناقضاً لمبادئنا إذا ما

خرجنا على القانون. وقد يسأل سائل: "كيف تدافعون عن بعض القوانين وتخضعون لغيرها"؟. ورداً على هذا أقول: إن هناك نوعان من القوانين. العادل منها والجائر، وأنا ممن ينادي باحترام القوانين العادلة. وأري أنه على المرء مسؤلية أدبية إذا خالف القوانين الجائرة ولكني من رأي القديس أوغسطين حيث يقول: "إن القانون الجائر ليس قانوناً على الإطلاق" وإذا سألنى سائل ما هو الفارق بينهما؟ وكيف نحدد إذا كان قانونا عادلاً أوجائراً؟ فأقول: "إن القانون العادل هو قانون وضعه البشر على أن يتماشي مع تعاليم السماء. أما القانون الجائر فهو الذي يشذ عن القوانين الأخلاقية. وعلى حد قول القديس توماس اكويناس: "القانون الجائر هوالقانون البشري الذي لا يرتكز على قانون السماء وقانون الطبيعة"، وإن أى قانون يرفع من شخصية البشر هو قانون عادل. وأي قانون يؤدي بها إلى الشر إنما يكون قانوناً جائراً.

لذا، فإن كل قوانين التمييز العنصري قوانين جائرة، لأن العنصرية تشوه الروح وتؤذي الشخصية، كما أنها تجعل من يُميز نفسه عن غيره شعورا خاطئاً بالعظمة.

وفي نفس الوقت تجعل الفريق الآخر المضطهد يشعر بالنقص (إن العزلة - كما يقول الفيلسوف مارتن لوثر - تحول البشر إلي جماد). ويمكن القول بأن العزلة أيضاً تشوه الدين والأخلاق. لقد جاء في أقوال بول تيليش: إن الخطيئة والانفصال صنوان. فهل يمكن أن يوصف التمييز العنصري إلا بأنه مأساة قد فصلت البشر بعضهم عن بعض؟.

إننى بهذا أحث الناس على طاعة قانون محكمة القضاء العالي لعام 1954م، باعتباره قانوناً عادلاً، وأحثهم كذلك على التمرد.

إن القانون الجائر هو المُلزم للتطبيق بالنسبة إلي الأقلية دون الأغلبية، بحيث يصبح الفارق بين المجموعتين شرعياً. أما القانون العادل فينص على أن الأغلبية تفرض على الأقلية وعلى نفسها احترام هذا القانون، وهذا التعادل في المعاملة يجعل القانون عادلاً.

وقد يكون القانون عادلاً في الظاهر، لكنه جائر في التطبيق. وعلى سبيل المثال أذكر أننى قبض على مرة بتهمة التظاهر بدون تصريح، ومع أن تصريحاً من هذا القبيل لا غبار عليه من حيث المبدأ إلا أنه في الواقع يصبح جائراً إذا استعمل لمداومة العزل العنصري وحرمان المواطنين من حق التعبير عن احتجاجهم بطريقة سلمية، كما جاء في التعديل الأول بالقانون الخاص بمنح الفرد حق الاحتجاج السلمي.

وجدير بالقول أن مثل هذا التمرد قد مارسه الأقدمون قبل ظهور المسيحية وفي مهدها كان المسيحيون يواجهون الأسود الجائعة، وكانوا يفضلون أن يسخرو لقطع الحجر على أن يخضعوا لقانون الإمبراطورية الرومانية الجائر. وإذا كانت الحرية الأكاديمية حقيقة في أيامنا هذه، فالفضل يرجع إلي أن سقراط قام بالتمرد المدني، ولنفس السبب.

مكتبة الرمحي أحمد

على أن أقرر يا أخوتي:

أولاً: على أن أعترف أن البيض المعتدلين في آرائهم خيبوا ظني إلي حد بعيد. لأننى اعتقد أن المسئول عن هذه العقبات أمام الزنوج في

كفاحهم، ليس مجلس المواطنين البيض، ولا أعضاء جمعية الكوكلوس كلان، بل المسئول هو الرجل الأبيض المعتدل، الذي يهتم بالنظام أكثر مما يهتم بالعدالة والذي يؤثر السلام السلبي الذي لا يشوبه توتر، وهوالرجل الذي يقول لك "إنى أوافق على الهدف الذي ترمي إليه، لكنى لا أوافق على قيامك بالعمل المباشر"، والذي يؤمن بتوقيت وهمي وينصح الزنجي بأن "ينتظر إلي أن يأتى الوقت المناسب" إن فهم الأمور فهما سطحياً من بعض ذوي النوايا الطيبة يؤلم أكثر من جهل أصحاب النوايا السيئة، والرفض الصريح أهون علينا من الموافقة المائعة.

كنت آمل أن يدرك هؤلاء المعتدلون، أن النظام والقانون وضعاً لإقرار العدالة، وأن فشل هذين العنصرين، يجعل منهما سداً منيعاً يعوق سير التقدم الاجتماعي. كنت آمل أن يفهم هؤلاء المعتدلون أن التوتر القائم حالياً في الجنوب عنصر سليم لا مناص منه في مرحلة الانتقال من حالة السلام السلبي إلي حالة سلام إيجابي، حيث تحترم الكرامة والقيم البشرية.

نحن لا نخلق حالة التوتر وإن كنا نقوم بالعمل المباشر. بل إننا نكشف الستار عن توتر، حتي وإن كان دفيناً، ونظهره على الملأ لكي يمكن علاجه. وكما أن البثور الخبيثة يجب تطهيرها مما تحمله من أدران، وتركها للشمس والهواء النقي حتى تبرأ، يجب أيضاً الكشف عن الظلم وما يترتب عليه من توتر، وعرضه أمام الضمير الإنساني والرأي العام، حتي يعتدل أمره.

لقد ذكرتم في تصريحكم أن ما نقوم به من أعمال قابل للإدانة،

لأن نشاطنا يؤدي إلي العنف. أليس يشبه من يحكم علي الذي ذهب ضحية لسرقة أمواله بأن امتلاكه للمال تسبب في جريمة السرقة؟ أليس هذا القول أشبه بالحكم على سقراط بأن تشبثه بالحق وبحوثه التي أدت إلى إثارة الشغب ضده والحكم عليه بأن ينتحر بالسم؟ أليس أشبه بالحكم الذي قضي بصلب السيد المسيح لإيمانه بالله!

وأخيراً: تؤكد هذه المحاكم الفيدرالية - أنه ليس من العدل أن نطالب شخصاً ما بأن يكُف عن السعي ليحصل على حقوقه الدستورية بحجة أنه يقوم بالاضطرابات، فالمجتمع مسؤول عن حماية الضحية ومعاقبة الجاني.

كنت على أمل أيضاً ألا يتمسك المعتدلون بخرافة التوقيت لبدء الكفاح للتحرر. وقد وصلتنى رسالة من أحد الزملاء البيض في تكساس فيها: "إن جميع المسيحيون يعلمون أن الشعوب الملونة ستحصل على حقوقها، ولعلكم بعد تُسرعون فيما تعملون، فقد مر على المسيحين حوالي ألفي عام حتى وصلوا إلي مستواهم الحالي، وتعاليم السيد المسيح لا تطبق على الأرض بسرعة بل تحتاج إلي مزيد من الوقت، أما أنا فأري أن هذا التفكير ناتج عن سوء فهم خطير لمفهوم كلمة "الوقت". وحقيقة الأمر، أن الزمن في حد ذاته عامل سلبي يمكن أن نستغله بطريقة بناءة أو هدامة، واعتقد أن رجال السوء لجئوا إلي استغلاله بمهارة أكثر مما استطاع أهل الخير. إن أبناء جيلنا سيندمون على صمت أهل الخير الرهيب. إن تقدم البشرية يأتي نتيجة لجهود رجال يتوانون عن العمل في سبيل الله. إذا علينا أن نستغل الزمن بطريقة بناءة، ولقد حان الوقت لننهض

بسياستنا الوطنية، وأن نقيمها على قاعدة كالصخر المستقر من الكرامة والإنسانية.

إنكم تصفوت أعمالنا في برمنجهام بالتطرف، وقد ساءني أول الأمر ذلك. وبدأت أدرك أنني أقف بين قوتين متناقضتين في بيئة الزنوج تنادي إحداهما بالتهادن، والثانية قد تشبع أهلها بالمرارة والحقد حتي أوشكوا أن يندفعوا في تيار العنف. ويؤمن بتلك القوة عدة مجموعات من الزنوج الوطنيين منتشرة عبر الدولة، وأكبرها مجموعة نظمت حركة آليا محمد الإسلامية التي قاسي أهلها من الحرمان بسبب التفرقة العنصرية، حتي فقدوا الإيمان ببلادهم، وتنصلوا من المسيحية، وأجمعوا الرأي على أن الرجل الأبيض "شيطان لا يهتدي أبداً".

لقد حاولت أن أقف بين هاتين القوتين معلناً أننا غير ملزمين بالدفاع عن سياسة المهادنة الراكدة، من حقد ويأس المواطنين السود، فأمامنا الطريقة الفضلي، طريقة المحبة والاحتجاج السلمي، وإني أحمد الله أن العمل السلبي أصبح بفضل نشاط كنيسة الزنوج، شرطاً أساسياً لحركتنا.

ولولا قيام فلسفة العمل السلبي المباشر، لكان كثير من الشوارع في أرض الجنوب غارقة في الدماء. كما أنني واثق أن نظرة إخواننا البيض ما هى إلا مجرد "مشاغبة دخلاء" ورفض هؤلاء البيض لأن يساندونا، وهو وضع سيقود حتما إلي كابوس عنصري مخيف.

إن الشعب المضطهد لا يمكن أن يبقي مضطهداً إلي الأبد، والتعطش إلي الحرية لا يلبث أن يثبت وجوده، وهذا هو ما حدث

فعلاً بالنسبة إلي الزنجي الأمريكي، فهذه الأعمال تساعدهم على أن يفهموا الدافع إلي تمردهم، وإن لم ينفسوا عن تلك الطاقة المكبوتة، فإنها ستنفجر بطريقة عنيفة. وقولي هذا ليس من باب التحدي، بل هو مجرد إثبات لحقائق التاريخ. لهذا السبب حاولت أن أفهمهم أن سخطهم هذا طبيعي وسليم. وعلى الرغم من خيبة أملي أن أوصف بأنني متطرف فكرت ملياً ثم شعرت تدريجياً براحة لهذا النعت. ألم يكن السيد المسيح متطرفاً في حبه للبشر عندما قال: "أحبوا أعداءكم، باركوا الذين يلعنونكم، أحسنوا إلي الذين يحقدون عليكم وصلوا من أجل الذين ينالونكم بالأذي ويضطهدونكم" ألم يكن عاموس متطرفاً من أجل الحرية إذ قال: "وليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم" "ألم يكن بولس متطرفا عندما قال: "إنى حامل في جسدي سمات الرب اليسوع". "ألم يكن مارتن لوثر متطرفاً عندما قال: "هذا هو موقفي، لن أحيد عنه، وليكن الله في عونى" وبنيان[8] إذ قال: "إنى (أفضل) البقاء مسجوناً حتي آخر سنوات حياتى على أن أحول ضميري إلي مجزرة"، ألم يكن "إبراهام لنكولن" متطرفاً عندما أعلن: "أن هذا الشعب لن يتاح له البقاء إذا كان نصفه حراً ونصفه الآخر مستعبداً"، وتوماس جفرسون الذي قال "من البديهات أن البشر يولدون جميعهم أحراراً". والمسألة التي نواجهها ليست مسألة إفصاح عما إذا كنا متطرفين أم لا؟ وإنما المسألة هي أي نوع من المتطرفين نحن؟. هل يتجه تطرفنا نحو المحبة أم نحو الحقد؟. هل نصبح متطرفين على الظلم أم في نشر العدالة؟، فلنعد بالذاكرة إلي

[8] جون بنيات Bunyan وهو مؤلف إنجليزي عاش في القرن السابع عشر . كافح من أجل مبادئة وسجن ما يقرب من اثنى عشر عاما

ما حدث على جبال جلجلته حيث صلب ثلاثة رجال، لنفس الجريمة، أعنى جريمة التطرف.

كان اثنان منهم متطرفين في الانحراف عن الخلق الكريم فهبطا عن مستوي بيئتهم. أما الثالث. وهوالسيد المسيح، فكان متطرفاً في الحب والحق والخير، فارتفع على مستوي بيئته. ولعل الجنوب، والدولة، والعالم في أشد الاحتياج لهؤلاء المتطرفين الخلاقين.

كنت أؤمل أن المعتدلين من البيض سيلاحظون هذا الأمر. ويبدو أنه كان على أن أدرك أن الطغاة لا يوجد بينهم إلا فئة قليلة تستطيع أن تفهم وتقدر آهات الشعوب المضطهدة وتطلعهم بشغف إلي الحرية. وأن يستأصل إلا بعمل قوي متواصل، لذلك فإنى أشكر هؤلاء الإخوان من البيض الذين فهموا معني هذه الثورة الاجتماعية وضموا إليها أصواتهم. إنهم أقلية من حيث الكم، لكنهم أغلبية بقيمتهم.

لقد قام بعضهم مثل: رالف ماك جيل، وليليان يمث، وهاري جولدن، وجيمس ماك رايد دابن، وآن برادن،وسارة باتون بويل، بالكتابة عن كفاحنا وتنبأوا نتائجها وساهم البعض الآخر من البيض بمرافقتنا في مسيرتنا عبر الشوارع في الجنوب، وتردي البعض الآخر من البيض بمرافقتنا، وتردي البعض الآخر في غياهب السجون القذرة والمليئة بالصراصير، وتحملوا الإهانة والاعتداء. وبعكس كثير من إخوانهم المعتدلين، فإنهم أدركوا ولمسوا ضرورة إتخاذ عمل سريع لمكافحة آفة العنصرية.

وأذكر بعض أسباب رئيسية أخري أدت إلي خيبة أملي. وأولها كنيسة البيض وقادتها. فقد لاحظت أن كل واحد منهم إتخذ موقفاً معيناً: وأشكر القس ستالنجز على الروح المسيحية التي أبداها، إذ رحب بالزنوج في كنيسته دون تفرقة عنصرية. كذلك أعبر عن تقديري تجاه القادة الكاثوليك بهذه الولاية لتطبيق الإدماج في كلية سبريج هل. ولكن على الرغم من كل هذه الاستثناءات الكريمة، على أن أقرر صراحة وأكرر أن الكنيسة خيبت آمالي، وأقول ذلك باعتباري من رجال الدين، ومن محبي الكنيسة الذين ترعرعوا في كنفها، وتغذوا بروحانياتها المباركة وسيبقي لها مخلصاً مادام في حياته بقية.؟

فعندما أسند إلي قيادة حركة أتوبيس مونتجمري في ألاباما، خيل إلي أن كنيسة البيض ستقف في صفي. وكنت اعتقد أن رجال الدين البيض في الجنوب سيكونون من أقوي مؤيدينا. ولكنه إتضح أن بعض هؤلاء كانوا من أعدائنا الألداء، ورفضوا حركتنا، وأساءوا فهم آراء رواد تلك الحركة، وبقوا صامتين قابعين في كنائسهم.

على الرغم من تحطيم أحلامي، جئت إلي برمنجهام بأمل أن يدرك قادة الدين مدي عدالة قضيتنا، وأن يجاهدوا في شق الطريق إلي صرح القوة والسلطان، ومرة أخري خابت آمالي.

ويلغني أن عدداً كبيراً من رواد الدين أشاروا على أتباعهم بان يتماشوا مع مبدأ اللاعنصرية باعتبار هذا تصرفاً قانونياً، لكني متعطش لأن أسمع رجال الدين البيض يقولون طبقوا هذا القرار، لأن الإدماج حق عادل، ولأن الزنوج إخوتكم. إلا أنهم قد تنحوا

وصرحوا بأراء تافهة. وفي وسط هذا النضال سمعت أكثر من واحد من رجال الدين وهويقول: "إن هذه مشاكل اجتماعية لا دخل لها في نطاق المسئولية الدينية".

لقد أبت كنائس كثيرة أن تقحم نفسها في ذلك الحق العادل بحجة أنها خارج نطاق الدين ففرقت بين الجسد والروح، وبين الدنيا والدين.

وطالما سألت نفسي "أي نوع من الناس يتعبدون في تلك الأماكن؟. وماذا عساهم يعبدون؟ أين كانت أصواتهم عندما ألقي المحافظ بارنيت بالتصريح الخاص بإلغاء حقوقنا؟ وأين كانوا عندما نادي المحافظ دالاس بالتحدي والحقد نحو السود؟ أين كانت مساندتهم عندما قرر الزنوج أن ينفضوا غلائل الظلم القاتمة ليحلقوا إلي آفاق الاحتجاج المنير؟".

وطالما بكيت لتراخي الكنيسة، لكن كانت دموعي، هى دموع الحب. فالمرء لا يشعر بخيبة الأمل إلا نحو الذين يحبهم، وأنا أحب الكنيسة، وهى بالنسبة لي لها مكانة فريدة، نعم إنى اعتبر الكنيسة رمزاً للمسيح، وللأسف كم لطخنا وجرحنا جسده بإهمالنا لوجباتنا الاجتماعية وخوفنا من أن نعتبر خارجين على الدين إذا إتخذنا موقفاً ما.

ففي ما مضي كانت الكنيسة في أوج سلطانها - أيام كان المسيحيون الأولون يهللون فرحا وهم يعذبون، لم تكن الكنيسة مجرد مقياس للرأي العام، بل كانت البوتقة التي تصهر فيها تقاليد المجتمع،

كان عددهم قليلاً، والتزاماتهم كبيرة، وكانوا مشبعين بإيمانهم لا يخشون احداً مهما كان عددهم، فاستطاعوبمجهودهم وقدرتهم أن يقضوا على الرذائل السائدة في ذاك الوقت،

أما الآن فقد تغير الحال، فأصبحت الكنيسة ضعيفة، هزيلة الصوت، غير واضحة. لذلك اعتمد رجال الحكومة على صمت الكنيسة، وفي بعض الأحيان على تصريحاتها بالموافقة على الوضع القائم.

لكن عدالة السماء تطالب الكنيسة بما عليها من واجبات دون هوادة. فإذا تهاونت. فإنها - أي الكنيسة - ستسخر كيانها، وتفقد ولاء الملايين من أبنائها، وستنحى جانباً مثل أي ناد ليس منه فائدة ترجي لمجتمع القرن العشرين. وكل يوم يصادفني من الصبية من تحولت خيبة أملهم في الكنيسة إلي احتقار صارخ.

مرة أخري أقولها: هل يترتب على أن أتحول بإيماني؟. ومع ذلك لا يفوتنى أن أعبر عن تقديري لبعض رجال الدين الذين حطموا التقاليد البالية وانضموا إلي حركتنا، وتخلي عنهم زملاؤهم من رجال الدين، لكنهم تمسكوا بإيمانهم في أن الحق المهدور أقوي فاعلية من الشر المنتصر. وكانت مساندتهم لنا قوة حافظت على إيماننا بالدين في تلك الأيام العصيبة.

وإننى أرجو أن تنهض الكنيسة، وأن تقوم بدورها في هذه الساعة الحاسمة.

وإذا تنحت عن الوقوف في صف العدالة، فإنى لن أيأس من

المستقبل، سوف نصل إلي هدفنا ونحصل على الحرية في برمنجهام وفي الدولة قاطبة، لأن هدف أمريكا هو الحرية بالذات، وعلى الرغم من أننا نشكو من الاستغلال والتحقير، فإن مصيرنا مرتبط بمصير أمريكا. كنا على أرضها قبل أن يصل الحجاج إلي بليموث. كنا على أرضها قبل أن يخط جيفرسون أول كلمة على صفحات التاريخ. لقد عمل وعانى آباؤنا طوال قرنين من الزمن دون أن يتقاضوا أجراً على تلك الأرض، وبنوا مساكن أسيادهم بينما هم يرزحون ويقاسون من أمر ألوان التعسف والإهانة - ومع ذلك استطاعوا بحيويتهم الأزلية أن يواظبوا على العمل وعلى كيانهم. لأن تراث وطننا المقدس وإرادة الله يتمثلان في طلباتنا.

وأخيراً:

إنكم تمدحون رجال الأمن في برمنجهام لجدارتهم ولمحافظتهم على "النظام" و"منع الاعتداءات"، وإنى أشك في أنكم تمدحونهم لو أنكم شاهدتم كلابهم وهي تغرس أسنانها في أجساد الزنوج العزل في السجون، أو كيف أنهم رفضوا أن يعطونا وجبة الطعام، لأننا ننشد صلاة الشكر جماعة قبل أن نأكل.

إسمحوا لي أيها السادة، أنا لا أستطيع أن أشارككم مديحهم. حقيقة أن رجال البوليس حافظوا على الأمن في أثناء المظاهرات، وكانوا في تلك الحالات يتصرفون "دون عنف" أمام الشعب، ولكنهم كانوا يفعلون هذا للمحافظة على نظام العنصرية البشع. لعل المستر كونور ورجالة عاملوا الزنوج دون عنف أمام الجماهير، كما فعل بريتشيت رئيس بوليس أباني في ولاية جورجيا، ولكنهم مع ذلك كانوا

يستعملون طريقة سليمة للمحافظة على مبدأ غير سليم، وأعنى بذلك مبدأ التفرقة العنصرية. ويذكرنى هذا بما قاله ت. س. إليوت: "إن آخر إغراء لهوأكبر الخيانات: (إذ يجعلنا) نعمل الخير لخدمة الشر"

كنت أرجو لو مدحتم مظاهرات الاعتكاف التي قمنا بها، ومدحتم المتظاهرين في برمنجهام على شجاعتهم، وتحملهم العذاب عن طيب خاطر، وضبط أعصابهم في مواجهة أقسي ألوان الاستفزاز. سيعرف الجنوب يوماً ما أبطاله الحقيقين، هؤلاء الرجال الذين اندفعوا وراء هدف نبيل. ومن هؤلاء تلك الزنجية المضطهدة العجوز التي كانت فى الثانية والسبعين من عمرها، وهي التي نهضت باعتزاز مع أبناء جنسها وقررت أن تقتحم السيارات المحظورة على الزنوج. وعندما سئلت عما إذا كانت متعبة، أجابت بلهجة ركيكية قائلة: "إن قدمي متعبتان، لكي روحي مستريحة".ومن هؤلاء الأبطال شباب المدارس الثانوية والكليات، ورجال الدين.

سيعرف الجنوب يوماً ما، أن هؤلاء المضطهدين الذين جلسوا في المطاعم، كانوا في الواقع أبطالاً نهضوا للدفاع عن أسمي آمال الأمريكيين وأقدس القيم في تراثنا الديني، وإنهم بهذه الطريقة قادوا الشعب إلي نبع الديموقراطية الذي ارتوي منه آباؤنا عندما أعلنوا الدستور ووثيقة التحرير.

إنى لم أكتب أبداً خطاباً طويلاً مثل هذا، وأخشي أن يأخذ الكثير من وقتكم الثمين، وإنى أؤكد لكم أننى لو كنت جالساً على مكتب مريح، لما احتاج الأمر لهذا الإسهاب الطويل. ولكن ماذا يفعل

المرء إذ وجد نفسه وحيداً في الزنزانة، إذا هو لم يقض وقته في كتابة الرسائل الطويلة ويفكر طويلاً ويطيل الصلاة؟

وإذا لمستم أي مبالغة للحقيقة، فإنى أرجو المعذرة. وإذا كنت قد تهاونت في ذكر الحقيقة كاملة، أو بدر مني ما يشير إلي أي شعور غير الإخاء، فإنى استغفر الله على ذلك.

أرجو أن تتقبلوا هذه الرسالة بإيمان عميق، كما أرجو أيضاً أن تساعدنى الظروف على مقابلتكم، باعتباري زميلاً من رجال الدين وأخاً مسيحي. ولنأمل أن يرتفع ضباب سوء التفاهم من مجتمعنا الغارق في الخوف، ولعل المستقبل القريب يشع بالحب والإخاء.

ولكم مني أخلص التمنيات بالسلام والإخاء

مارتن لوثر كنج، (الابن).

الفصل السادس

سود وبيض معا

لم يكن أمامنا خيار، فبعد مرور ثمانية أيام فى السجن، وافقنا أنا ورالف على دفع الكفالة لإطلاق سراحنا، وذلك لسببين: أنه كان حتما على أن أعيد إتصالاتي بضباط منظمة المؤتمر القيادية، وأيضاً بمحامينا حتي نضع الخطة اللازمة لمواجهة قضايا التمرد علي القانون الذي يوشك أن يُعرض بالمحكمة المحلية. وعلى ذلك كنت قد قررت فتح جبهة جديدة في حملتنا بأمل أن تأتى لنا علـى عجل بالنصر. وقمت بجمع هيئة إدارة الجبهة وأعد عليهم مؤكداً المبادئ التي قد عشت حياتى أُنادي بها، ولن يكتب النجاح لحملتنا إلا إذا انضم إليها كل الطلبة من بيئة الزنوج.

وأثناء حملتنا الأخيرة، في برمنجهام، تقدم ما يقرب من أربعمائة أوخمسمائة شخص ليقبضوا علي شباب المظاهرات، فكان ثلثاً هذا العدد من الأفراد البالغين. واعتبرنا هذا شىء مُرضي في ذلك الوقت، لأن الحملة الناجحة يجب أن تشمل أكبر قدر من القطاعات المختلفة فى المدينة، وقد حان الوقت لتجنيد الشباب على نطاق أوسع. وكان

ضم الحملة للمراهقين وطلبة المدارس القانونية، سيفتح النار سيُلهب ضددنا كل النقاد. فكنا نقوم يومياً بالمظاهرات، وكان الكثيرون منا يدخلون السجن، ورغم ذلك، كان كل هذا بمثابة طحن رءوسنا على جدار حجرى، متمثلا في عناد رجال الحكومة. فإذا تم لنا النجاح، فسوف يستفيد الشعب أجمع. ولكن كان الهدف الأول هو تنبيه شبابنا بخطورة موقفهم إذا ساهموا في العمل للحصول على الحرية والعدالة. ومعرفتهم بما سيحدث، وكنا على يقين أنهم سوف يكونون على قدر من الشجاعة مما يجعلهم يتجاوبون معنا.

وقد بدأ بزيارة الكليات والمدارس الثانوية بالمنطقة. كل من جيمس بيفيل، وآندي يونج، وبرناردلي، ودروش كرتون، حيثُ دعوا الطلبة لحضور الاجتماعات بالكنيسة بعد مواعيد الدراسة. وشاع الخبر بسرعة، وفاق كل أمانينا تجاوب هؤلاء الشباب معنا، إذ جاءوا أفواجاً بالخمسين وبالمائة ليحضروا اجتماعاتنا العامة وكذلك اجتماعات التدريب. فكانوا يصغون باهتمام عندما نتحدث عن التحرر في برمنجهام فوراً لا في المستقبل البعيد.وقد كنا دائماً نرشدهم إلي أهمية فلسفة عدم العنف وقد طالبناهم بتحويل انفاعلاتهم وقواهم الفتية الخلاقة إلي التفاني في أعمال الحركة. وهكذا جدناهم متشوقين لأن يصبحوا جزءاً منا، بل ومتعطشين للمشاركة في أى عمل اجتماعي ذي أهمية. وما كان أكثر أعمالنا حكمة فى تلك الأيام، إلا ضم الأطفال لحركة برمنجهام، فقد جاء بقوة جديدة دافعة كانت أنجح وأقوى ما نحتاج إليه لكسب هذا النضال.

واذدادت أصوت الاحتجاجات، وفى ذلك الوقت كان موقف الصحافة قد تغير جداً في أواخر شهر أبريل، حتي أن الجرائد الرئيسية كانت تبدي العطف علينا، إلا أن كثيراً من تلك الجرائد تستنكر "استخدامنا" للأطفال بهذه الطريقة. وتساءلنا: أين كان هؤلاء الكتاب عبر هذه القرون وأين كان دفاعهم الجيد على مر هذه السنين، بينما كان الأطفال الزنوج يولدون في مناطق الحظائر القذرة، حيث يستنشقون أول نسمات حياتهم في جو تلوثت فيه الحرية بقاذورات التفرقة العنصرية؟

بلا، إن الأطفال هم السبب فى إجابة الصحافة واستعطافها المريب، حيث جاء الرد مجلجلاً على لسان طفلة في الثامنة من عمرها، كانت تسير بمصاحبة أمها في مسيرة الاحتجاج، وذلك أن أحد رجال البوليس إتجه نحوها وسألها فى بساطة: "ماذا تريدين أيتها الحلوة؟ "فنظرت الطفلة في عيني الرجل دون وجل وخوف وهى تُجيبه: "أريد الحرية" كانت تنطق الكلمة فى صعوبة وبلا وضوح لصغر سنها، ومع ذلك كانت إجابتها قد جلجلت ورنت كالبوق المدوي فى آذان الرجل.

وحتي الأطفال الذين كانوا لا يستطيعون السير طويلاً. كانوا يتوسلون إلي أهليهم كي يسمحون بالانضمام للمسيرة. وذات مرة أعلنا القيام لمسيرة احتجاج، وقد تقدم إلينا ستة من الأطفال ضمن من تقدموا، حيث قال لهم "يونج" إن سنهم يحول دون دخولهم السجن، فقد يستطيعون الذهاب إلي الملاهى والمكتبات. بلا، لن يتم القبض عليكم هناك، لكنكم تستطيعون أن تتعلموا شيئاً، وإتجه

الأطفال الستة إلي حي هؤلاء البيض الذي كان محظوراً عليهم دخولها قبل أسبوعين من ذلك التاريخ.

نعم، كانوا يشعرون بالخوف والخجل، لكنهم قد صمموا على المُضى قُدماً، فاتجهوا نحو حجرة الأطفال واندمجوا في القراءة حتي نسوا أنفسهم. وبهذه الطريقة ساهم هؤلاء الصغار في الدفاع عن قضية الحرية، مع الكبار. فقد كان الأطفال مدركين مدي القيم التي يناضلون من أجلها. وإننى أتذكر أحد الصبية الذي غضب أبوه عندما عرف أنه انضم إلى المتظاهرين ومنعه من الاشتراك في المظاهرات، فأجابه:

"يا أبي أنا لا أود مخالفة أوامرك، لكنى أقسمت القسم، فإذا حاولت أن تحجزني بالمنزل فسأهرب منه، وإذا أردت أن تعاقبنى فسأقبل هذا العقاب عن طيب خاطر، فأنا لم أفعل هذا لأني أرغب في الحرية فحسب، بل لأنني أتمنى هذه الحرية لك يا أبى ولأمي، وأرجو أن أحققها وأنت على قيد الحياة".

وفكر الأب ملياً وربت يده على كتف ابنة وتركه يذهب. وبارك حركة الشباب لتحمس أمثال هذا الفتى الصغير بل إن صح القول الفتى الكبير الحر، وكان انضمام الشباب إلي مسيرة برمنجهام حدثاً تاريخياً، ولأول مرة استطعنا أن نطبق عملياً مبدأ غاندي الذي ينادي قائلاً "أملئوا السجون بأجسادنا".

قرر جيم بيفيل أن يحدد يوماً معيناً ليتوجه الطلبة فيه إلي السجون بأفواج كبيرة. وفي الموعد المحدد تجمع الشباب في

شارع Sixteenth Street Baptist Church كالموج المليء والزاخر، حيث كانت حصيلة "دي داي" في الثاني من شهر مايو، أكثر من ألف نسمة من الشباب الذين تظاهروا ليدخلوا من أبواب السجون. وعندما أصدر ناظر إحدي المدارس أمراً بإغلاق الأبواب، تسلق الطلبة على الأبواب وركضوا إلي الخارج ليُساهموا في المظاهرات. وواظب الطلبة على الإضراب على الرغم من تهديد وكيل المدرسة لهم بالطرد، حتى بلغ عدد المقبوض عليهم إلي 2500 سجين من الشباب.

ورغم روح الجد التي كانوا يعملون بها، فقد كان هؤلاء الشباب يتسمون بطابع المرح الذي كان بشد من أزر المناضل الأعزل عند الخطر. فكانوا يتمتعون بإرشادات موجهيهم، في نشر الفوضى بين رجال البوليس. فكانت مجموعة منهم تتجمع عند باب الخروج من إحدي الكنائس، فيندفع أفواج من رجال البوليس بالسيارات والموتوسيكلات نحوهم، وفجأة تخرج مجموعات أخري من الشباب من أبواب أخري وتتجه نحو الهدف المقرر بالمدينة.

وكان الكثيرون منهم يصل إلي مقرهم قبل أن يلحق بهم رجال البوليس ويقبضوا عليهم. وكانوا ينشدون وهم سائرون، وينشدون بينما يدفع بهم في سيارات رجال البوليس ليزجوا فى السجن.

وعندما افتقر رجال البوليس إلي تلك السيارات اضطروا إلي استعمال سيارات العمدة، وأتوبيسات المدارس للقبض عليهم. وبينما أراقب فتية برمنجهام، كنت أتذكر حادثاً وقع في مونتجمري في أثناء مقاطعة الأتوبيس، حينما سأل أحدهم سيدة عجوز عن سبب

اشتراكها واقحام نفسها في نضالنا، فأجابته: "إني أفعل هذا من أجل أولادي وأحفادي" ومستقبلهم الأتى.

وبعد سبع سنوات، كان الأطفال من أحفاد ذلك الجيل يقومون بنفس العمل.

عندما اكتظت السجون بالمتظاهرين الزنوج، وحينها استنكر الرأي العام فى مدينة برمنجهام تخلي بوول كونور عن تظاهره بالمسالة، وحينها رأي الأمريكيون والعالم أجمع النتيجة البشعة لهذا التصرف الأحمق، فظهرت الجرائد تحمل على صفحاتها صور نساء ملقيات على الأرض، بينما يلوح رجال البوليس بالهروات والعصى من فوقهن، وصور الأطفال وهم يسيرون نحو كلاب البوليس وهي تكشر عن أنيابها، وكذلك صور المضخات التي كانت تدفع المياه بقوة فى الخراطيم بحيث تكتسح الأجساد من الطريق.

كانت هذه الفترة المريرة من تاريخ كفاحنا، والتي أصبحت بفضل إيمان وشجاعة شبابنا وكبارهم الحقيقة الخالدة بل ومن أروع الأيام فى مستقبلنا، رغم أننا لم نرد الاعتداء بالمثل، ولأننا لم نتراجع ولم نشكوا بمرارة الحياة التى كنا نعيشها. حدث أن ألقي بعض الأفراد بالقوارير والحجارة على رجال البوليس المعتدين، ورغم ذلك لم يتخل المتظاهرين أنفسهم عن موقفهم السلمي. وأمام هذا الاصرار وهذه الشجاعة، تحرك أخيراً الضمير الإنساني في أرجاء الدولة وأصبحت معركتنا لكل أمريكي أيا كان لونه أوعقيدته.

ولقد كان انتشار الشعور بالاستنكار، والعطف الذي أثاره تصرف

الأطفال؛ والوعي المتزايد بين الزنوج، من العوامل التي خلقت جوا خاصاً لحركتنا، وشعورنا بالفخر لنجاحنا، وثقة بنفوسنا، وإيمانا مضطرداً بأن العقبات التي أمامنا مقضي عليها بالزوال وأنها بدأت تتلاشي فعلا. وهكذا بدأت تجارة البيض تتزعزع تحت ضغط الدعاية ضدهم.

ومن الغريب أن جماهير البيض في برمنجهام لم يناهضونا، وكان هذا التصرف أغرب حدث في حملة برمنجهام التي لو قدر لها أن تبدأ قبل سنة من بدء تاريخها، لنهض الشعب غاضباً وتولي القيام بعملية القمع الإجرامية التى قامت ضدنا، بدلاً من بوول كونور، لكن غالبية الجماهير كانوا قد تمسكوا بسياسة الحياد. وهذا لا يعنى أبداً أن البيض كانوا في صفنا، أو أنهم قاطعوا محلات معينة تضامناً معنا، لكن، كل ما في الأمر أن هذا كان مجرد دليل على تقلب الشعور وعدم استقراره بين أهالي الجنوب. وزاد هذا الموقف السلبي من قوتنا وشعورنا بأننا في طريقنا إلي النصر.

بعد ظهر يوم من أيام الأحد وقع الحادث المثير الذى هز رجال كونور أنفسهم، عندما قرر بعض المئات من الزنوج أن يقيموا صلاة الأحد بالقرب من سجن برمنجهام، فاجتمعوا عند كنيسة New pilgrim Baptist Chursh حيث بدأوا المسيرة، وعندها أمر كونور بإعداد الكلاب ومضخات الماء، حتي إذا ما اقترب الزنوج من الحد الذى يفصل بين منطقتى السود والبيض أمرهم كونور بالإياب. وكان رد الأب تشارلز بيلوبس، قائد المسيرة، بالرقص بأدب، وثارت ثائرة كونور فالتفت فى غضب نحو رجاله قائلاً "أطلقوا الماء، لعنهم الله".

وبعدها بنصف دقيقة، سُجلت في أثنائها أعجب حدث في تاريخ برمنجهام، إذ وقف رجال بوول كونور مشدوهين والمضخات القاتلة مصوبة بأيديهم نحو الزنوج. وكان بعض هؤلاء الزنوج يركع على الأرض ويحملقون في الجنود دون وجل أوخوف ودون أى حركة، ثم بدأوا يقفون ويتقدمون ببطء، بينما بدأ رجال كونور تتراجع إلي الوراء وهم فى ذهول حيث كانت المضخات ترتمي من أيديهم، إلي أن مرت حشود الزنوج بالمئات دون أن يتعرض لهم أحد وأقاموا صلاتهم كما أرادوا.

وهناك عامل آخر أكد لنا أننا نوشك على أن نصل إلي هدفنا. رغم أن المظاهرات التي كنا نقوم بها يعاقب عليها القانون، باعتبارها تحدياً لإنذار مدني. حيث ينص القانون في ولاية ألاباما، على أن المتهم بالتمرد الجنائي يعاقب بالسجن خمسة أيام. أما المتهم بالتمرد المدني فإنه إذا تنازل عن المطالب التي تظاهر من أجلها، يطلق سراحه، وإلا يبقي فى السجن إلي أجل غير مسمي.

وكانت التهمة الموجهة لأغلب المتظاهرين، تهمة التمرد الجنائي، فيما عدا حوالي عشرة من القادة قد وجهت لهم تهمة التمرد المدني. وكانت السلطات في برمنجهام تظن أننا سنتنازل عن حقنا لكي نتجنب عقوبة السجن مدي الحياة. وعندما قُدمنا للمحاكمة في شهر إبريل، كان الوضع قد وضح للمحكمة أننا لن نتراجع أبداً، حتي ولو قضي علينا أن نموت في السجن. وهكذا وجدت السلطات نفسها أمام الأمر الواقع، وأدرك المدعي العام أن هذا يجعلنا شهداء في نظر الرأي العام، مما يقوى ويدعم موقفنا ضد هؤلاء من أولي الأمر في

برمنجهام.

وفجأة تحولت تهمة التمرد المدني إلي تهمة التمرد الجنائي، وسرعان ما حكم علينا في 26 من إبريل. ثم أعلن القاضي أنه سيؤجل تنفيذ الحكم لمدة عشرين يوماً ليتيح لنا فرصة الاستئناف. عندئذ أدركنا دون أي شك أن معاقل العنصرية في برمنجهام بدأت تتداعي خلال الحملة. وأثناء تلك الفترة قد حاولنا مراراً أن ندخل في مباحثات مع المسؤلين البيض، حول أربع نقاط رئيسية هامة ألا وهى:

1- التفرقة في استعمال المطاعم والاستراحات، وحجرات البروفات[9] في مختلف المحال التجارية.

2- رفع أجور الزنوج وتشغيلهم دون تحيز عنصري في كافة المجالات التجارية والصناعية في برمنجهام.

3- سحب كافة الإتهامات الموجهة ضد المتظاهرين المقبوض عليهم وإطلاق سراحهم.

4- تشكيل لجنة ثنائية من البيض والملونين، تقوم بوضع برنامج زمني لتطهير كل المناطق في مدينة برمنجهام في كافة المجالات.

وعلى الرغم من تدهور التجارة في برمنجهام، بسبب مقاطعة السود للشراء من البيض، كان بالمدينة أفراداً من الذين كانوا متشبثين بآرائهم، لدرجة أنهم فضلوا الإفلاس على أن يجلسوا على مائدة واحدة للتفاوض مع هؤلاء الزنوج، ولكن عندما زاد الضغط

[9] لقياس الملابس الجاهزة قبل شرائها.

علي البيت الأبيض من الرأي العام، خاصة بعد أحداث 3 مايو المشينة اضطرت الحكومة إلى أن تتخذ إجراء ما. فأرسل النائب العام في الرابع من مايو بورك مارشال مساعدة رئيس قسم الحقوق المدنية، وجوزيف ن. دولان نائب مساعد النائب العام، ليبحثا عن حل للحالة المتوترة. ومع أن مارشال لم يكن لديه السلطة لوضع الحل، إلا أنه كان يمثل رئيس الجمهورية في المفاوضات، وكانت تلك أول مرة تقوم فيها الحكومة الفيدرالية بدور فعال في مثل هذه الشئون.

ورغم تدخل الحكومة لحل مشكلتنا، إلا أن الشك كان يساورني في حسن نوايا مارشال. فكنت أخشي أن يكون الغرض من حضوره، أن يخلق فترة "من تجميد الحالة" وأن يجعل الهدنة من جانب واحد، شريطة التفاوض. لكنه لم يفعل شيئاً من هذا، بل قام بعمله خير قيام إذ فتح عدة مجالات للتفاوض، بين القادة الزنوج وكبار المسئولين من رجال الاقتصاد فى الحكومة، حتي أن أحد العنصريين قال عنه: "هذا رجل يستمع لما يقال له، وكان على أن أستمع أنا أيضاً، وقد استفدت مما سمعته منه"

بدأنا عقد اجتماعات سرية مع لجنة أعيان المدينة. وعلى الرغم من عدم ظهور أى بوادر لنجاح هذه المفاوضات في بداية جلساتنا، إلا أننا وصلنا إلي وضع القواعد الأساسية لإتفاق يضمن لنا تنفيذ طلباتنا الرئيسية.

أثناء ذلك كانت الاعتداءات تسود شوارع برمنجهام، حيث أضاف كونور سيارة مصفحة لجيشه العجيب، فاضطر بعض الزنوج ممن لم يدربوا على سياسة المسالمة إلى مقاومة رجال الأمن بإلقاء القوارير

والطوب والحجارة عليهم. وفي أحد الأيام بلغ من شدة ماء المضخات التي يرشها رجال كونور على المتظاهرين، أنها أقتلعت لحاء الأشجار التى كان المتظاهرين يختبئون خلفها، ومنها أنها قد دفعت فريد شاتلورث حتي ارتطم بجدار أحد المباني، فأصيب الرجل في صدره وحملته سيارة الإسعاف إلي المستشفي. وعندما عرف كونور بالنبأ، أجاب بطريقته المعروفة "ليته حُمل على سيارة الموتي"، ومن حسن حظ شاتلورث أنه قوي البنيان، فاستطاع أن يتحامل على نفسه كى يحضر جلسات اليوم التالي لمواصلة المفاوضات.

وأخيراً: انزعج رجال البوليس من هول الدمار الذي نشأ جراء هذه التصرفات، فطلبوا من قوات جيش الحكومة أن تحضر إلى المنطقة، وهنا أدرك كثير من القادة البيض أن عليهم أن يتحمسوا لأمر، لكن كان من بينهم بعض الأفراد الذين يرفضون أى تفاهم. مما أدى إلى حدوث حادث غير مجري هذا العناد من الشر إلي الخير، فقد اجتمعت لجنة أعيان المدينة في يوم الثلاثاء 7 مايو لبحث طلباتنا، وأبدي البيض عناداً جعل بورك مارشال يوشك أن ييأس من الوصول إلي حل مُرضى للجميع، فالشعور ثائر كالشلالات والجو كأنه مخلوط بالكهرباء "مكهرب".

تأجلت الجلسة وانصرف المائة والخمسة والعشرون عضواً، وكلهم من كبار رجال الاقتصاد والدولة. ذلك عندما حل ميعاد وجبة الغذاء، وبينما هم في طريقهم، فقد رأوا صدفة منظر عجيب، إذ قابلهم ما يقرب من بضعة آلاف من الزنوج كانوا في مسيرة بالمدينة، وتكدست السجون بالرجال مما حال دون القبض على المزيد إلا

على حفنة صغيرة منهم. فكان الزنوج منتشرين في كل مكان، البعض جالس في الطريق، والبعض الآخر جالس عند مداخل لمحال التجارية. كانوا متكتلين، وأشبه ما يكونون بأمواج بحر أسود. علماً بأنهم لم يحدثوا أي اضطرابات. فقد كانوا فقط موجودين وهم ينشدون، نشيدهم للحرية والذى كان صداه يتردد في أنحاء المدينة.

وعرف أقطاب الاقتصاد، بل، وأدركوا أنه من المحال أن يوقفوا هذه الحركة، وعندما عادوا لاجتماعهم دون أن يتمكنوا من تناول غذائهم، تنحنح أحد أعضاء اللجنة - وكان من أكثر الأعضاء تعنتاً ورفضاً - ثم قال:"في الواقع، لقد فكرت في الأمر ملياً، واعتقد أن في استطاعتنا الوصول إلي حل"

وكان هذا الاعتراف بمثابة بداية النهاية، فأخطرنا يورك بعد ظهر نفس اليوم، أن ممثلي المدينة من رجال التجارة والصناعة يرغبون في مقابلة قادة الحركة فوراً ليبحثوا الحل المناسب. وبعد أن تحدثنا مع هؤلاء الرجال ولمدة ثلاث ساعات تأكدنا من حسن نواياهم، وعلى هذا الأساس قد أعلنا الهدنة لمدة أربع وعشرين ساعة من صباح يوم الأربعاء.

خصص رئيس الجمهورية في ذلك اليوم كلمة افتتاح المؤتمر الصحفي بتصريح عن مشكلة برمنجهام، وضرورة البت بسرعة في المشاكل المتعلقة بها بل وعبر عن تفاؤله لقيام هذه المباحثات بين الطرفين. وبينما كان الرئيس يدلي بآرائه، ألقي القبض على وعلى رالف بسبب تهمة سابقة، وكاد هذا الحادث أن يهدد بحرق الهدنة بل وإشعال الأزمة من جديد، إذ شعر بعض زملائنا بأن هذا التصرف

يعتبر من الخيانة، فلبسوا الأحذية الخاصة بالمسيرة، واستعدوا لمظاهرة، لكي باقي الزملاء تعرضوا لهم ودفعوا الكفالة بإطلاق سراحنا، وعدنا إلي المفاوضات.

وبعد أن قضينا طوال ليلة الأربعاء والخميس صباحاً ومساء في المباحثات توصلنا أخيراً إلي اتفاق أعلن في صباح يوم الجمعة 10 مايو وهذا نصه:

1- إلغاء التفرقة العنصرية بين الملونين والبيض في كل من بارات المطاعم، والاستراحات وحجرات البروفة، وصنابير الشرب، على أن يتم هذا خلال تسعين يوماً من توقيع الإتفاقية.

2- رفع أجور الزنوج وتشغيلهم دون استثناء في الصناعة في برمنجهام، وتوظيفهم كتبة وباعة بالمحال التجارية، وذلك خلال ستين يوماً من توقيع الإتفاقية، والعمل فوراً على تشكيل لجنة من رجال الأعمال والصناعة والموظفين من ذوي المراكز القيادية، لتنفيذ برنامج شامل واسع النطاق، لرفع مستوي أجور الزنوج، وإسناد أعمال إليهم كانت محظورة عليهم سابقاً.

3- التعاون الرسمي مع القادة الرسميين للحركة، لبحث إطلاق سراح جميع المقبوض عليهم بدفع الكفالة.

4- موافقة رسمية من لجنة أعيان المدينة أو الغرفة التجارية، بإقامة إتصالات بين البيض والسود دون استثناء خلال أسبوعين من التوقيع، وذلك لاجتناب المظاهرات والاحتجاجات.

لكن متاعبنا لم تنته عند ذلك الحد. وكانت وكالات الأنباء -

وهي قرابة المائة - قد أذاعت للعالم نبأ توقيع الهدنة في برمنجهام، وصدرت تلك الأخبار بالعناوين العريضة في جرائد الولايات المتحدة، ورددت في التلفزيون. وثار شعور العنصريين بالمدينة وأقسموا على الانتقام من البيض الذين "خانوهم" بالرضوخ إلي الذين يطالبون بمساواة البيض بالسود. وقاموا بأول هجوم بشع في مساء يوم السبت بعد اجتماع لأعضاء الكوكلس كلان خارج المدينة. ألقيت قنابل على منزل أخي القس الدكتور أ. د كنج، ووضعت قنبلة بالقرب من فندق جاستون، بحيث تقضي على نزيل الحجرة رقم 30- وهي حجرتي، لكنهم كانوا يجهلون أنني في تلك الليلة بالذات كنت في مدينة أطلنتا.

كان توقيت انفجار القنابل محدداً بدقة، بحيث يتم عند خروج الزنوج من البارات التي تغلق أبوابها دائماً في منتصف الليل مساء يوم السبت. واندفع آلاف من الزنوج نحو الشوارع، وحاول ويات ووكر وأخي وغيرهم دون جدوي أن يردوهم إلي منازلهم، لكنهم كانوا ثائرين.

وبدأت المعركة بإلقاء الحجارة علي رجال البوليس وتحطيم السيارات، وأطلق رجال البوليس النار. وكان الهدف الأول من وضع القنابل "إحداث" الشغب وحرق الهدنة.

قام جورج والاس قائد الأمن ورجالة الأمناء، بحصار منطقة الزنوج ودخلوا على الزنوج كالوحوش بالمسدسات، واعتدوا بالضرب على عدد كبير من الأبرياء. وكان من شهامتهم أن أطلقوا هراواتهم على ى ن ووكر زوجة ويات وهي في طريقها إلي مقر

زوجها بالفندق الذي نسف جزء منه، وبعد ذلك أضافوا إلي أياديهم البيضاء ضرب ويات نفسه وهو عائد لمنزله بعد أن أوصل زوجته إلي المستشفي.

إتصل أخي بي تيلفونياً في أطلاتنا في تلك الليلة الليلاء، وأخبرني أن منزله تهدم وأن عددا كبيراً أصيب بالجراح في حادث نسف الفندق. كنت أستمتع له وهو يصف لي شعور الشعب المتفجر، والكارثة التي وقعت بشوارع المدينة. وبينما كان يتكلم سمعت صدي لحن جميل، ذلك أن أتباع حركتنا طلوا صامدين فوق حطام المعركة وأمام تهديد المعتدين، وكانوا ينشدون نشيدهم التقليدي "سننتصر" وعجبت لمقدرة الزنجي على التعبير عن إيمانه وآماله، حتي في مأساة كهذه.

وفي اليوم التالي أصدرت محكمة ألاباما العليا أمراً بعزل بوول كونور وزملائه من عملهم بصفة نهائية.

وقبل أن اختتم سرد أحداث برمنجهام -على أن أذكر المعونات المالية والأدبية التي جاءتنا من جميع أنحاء العالم خلال إضرابنا في الأسابيع الستة والشهور التي تلتها.

ومع أننا لم نقدم أي التماس رسمي بطلب معونة نظراً لانشغالنا بالأزمات اليومية التي كنا نعيشها في ذاك الوقت، إلا أننا غرقنا في سيل من خطابات التشجيع وإعانات تتراوح بين مبالغ زهيدة إلي أخري ضخمة ظلت تتدفق على مراكز القيادة، حيث كنا محاصرين في فندق جاستون وفي اطلانتا.

كانت مظاهر وحدة الصف المطردة بين الزنوج من أروع معالم

الحركة، كانت تضم رجال الدين الذين يقودون حركة المطالبة بالحقوق المدنية، وفنانين، ورياضيين وأفراداً عاديين.. وكانوا جميعهم يتهافتون على اجتماعنا، إما لإلقاء الخطب وإما ليعرضوا أنفسهم للسجن معنا... إلخ. كذلك وصلتني إعانات ومساعدات فنية من صندوق التمويل التربوي وهيئة الدفاع التابعين للإتحاد الوطني لتقدم الملونين ومن هيئات أخري، وكثير من الأفراد.

كان توقيع الاتفاقية دروة الجهاد في سبيل العدالة والحرية والكرامة الإنسانية.

ومع أننا كنا في ذاك الوقت ما زلنا في انتظار الخطوة الحاسمة، إلا أن برمنجهام كانت قد حطت خطوة جبارة في سبيل المطالبة بالمساواة. وحتي يومنا هذا لم تطهر المدينة نهائياً من التفرقة العنصرية تلوث جوها، وما زال على رئيس الجمهورية أن يجاهد ليستعمل حقوقه لكي يتيح للطفل الزنجي فرصة الالتحاق بمدرسة البيض في برمنجهام. لكن هذه الأوضاع تدعم حقيقة لا يجهلها العنصريون، ألا وهي أن الدعوة التي يدافعون عنها تحتضر، والسؤال الذي يواجههم الآن هو: ما هي تكاليف جنازة تلك الدعوة؟

أرجو أن تصبح برمنجهام في يوم ما نموذجاً لعلاقات الشعوب في أرض الجنوب، وأرجو أن يتحول المتطرفون السلبيون إلي إناس إيجابيين من ذوي الأيدلوجية في المستقبل، وأن تطهر خطيئة الأمس المظلم لتصبح فجراً مشرقاً. وإني أطمع أن يتحقق هذا الأمل، لأن في ذات يوم من أيام الصيف تحقق لنا حلم عندما اكتشفت مدينة برمنجهام أن لها ضميراً حياً.

الفصل السابع

صيف يسوده سخط الزنوج

اتبعت إحدي ولايات الجنوب نظاماً جديداً لتنفيذ حكم الإعدام، عندما حل الغاز السام محل المشانق وكان ذلك منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً خلت، وكانت السلطات في بداية ذلك العهد تضع ميكروفوناً في حجرة الإعدام، لتتيح للعلماء الإخصائيين الفرصة لمراقبة المحكوم عليه والاستماع إلي آخر ما يتفوه به، والاستدلال على ما يشعر به من رد فعل في مثل هذه الظروف.

وكان أول الضحايا لهذا النظام الجديد، شاب زنجي. وكان عندما تدفق الغاز السام إلي الحجرة التى دخلها، سمعه المراقبون خلال الميكروفون وهويقول: "أنقذني يا جو لويس، أنقذني يا جو لويس، أنقذني يا جو لويس".

ومع أن آخر كلمات أي معدوم تثير الأشجان في حد ذاتها، إلا أن ما قاله هذا الشاب كان فيه ما يثير المرارة، لأنه كان يكشف عن الشعور بالآلام والوحدة، واليأس الذي يعيش فيه الزنوج في تلك الفترة. فعندما احتاج ذلك الزنجي - وهويحتضر - إلي الاستنجاد

بشخص ينقذه من آلام الغاز لم يتذكر إلا جو لـويس بطـل الملاكمـة العالمي والزنجى أيضاً. وكأنه يشعر أن جو لويس سيشعر بآلامه لأنـه زنجي مثله، وأنه سيبادر بإنقاذه لأنه مناضل.

قد كانت كلمـات الفتـى المحتـضر بهـا تعقيبـاً علـى هـذه الحالـة الاجتماعية المزرية، القائمة، فهو لم يلجأ إلي السماء أو رجال الحكم، أوالمحسنين من البـيض، بـل لجـأ إلـي زنجـي خـبير في النـضال ضـد التفرقة العنصرية، حيث وضع فيه آخر آماله.

وبعد ثلاثين عاماً مـن هـذا الحـادث - اكتـشف الزنـوج أخـيراً أن روح النضال والقوة الكامنة لا توجد إلا في نفوسهم فواجهـوا المـوت في كـل مكـان، معتمـدين علـي وحـدة صـفوفهم فقـط. وفي صـيف 1963م ارتفعت صرخة التحدي، وحلت الثقـة بـالنفس محـل العجـز والخوف من السجن، عنـدما اكتـشف مئـات الآلاف مـن الزنـوج أن العمل السلمي المباشر عبارة عن قوة متفجرة لها القدرة علـى تطـوير المجتمع نحوحياة أفضل.

وفي الصيف ظهر بطل ملاكـم زنجـي آخـر فـى برمنجهـام، وهـو "فلويد باترسون"، وقد شعر بإرتباطه ببني جنـسه.. ولـيس باعتبـاره منقذاً، بل ولم تصل بطولة باترسون في أي وقت إلي ما وصـلت إليـه يوم أن ترك منزله بعيداً وخـرج إلى الـشارع ليـشجع الـشعب الـذي اشتبك في معركة لا تقل أهمية عن معارك الملاكمة التي يمارسها هو. إذا حاولنا أن نحصر كل المكاسب التي أحرزناها في ذلك الصيف، لو أننا أحصينا كل هذا لأدركنا التغيير الذي حدث في أذهان ملايين من الزنوج. ذلك أن روح الحرية انطلقت من الأعماق التي كانت مكبلة

بداخلها، وأصبح الزنجي - في نظر نفسه - متساوياً مع أي رجل آخر من حوله.

ففى صيف 1963م كتب الزنوج وثيقة تحريرهم بأيديهم، ونفضوا عن كاهلهم ثلاثمائة عام من الاستعباد النفساني، وصاحوا معلنين:

"إننا نستطيع أن نحرر أرواحنا" "إننا نستطيع أن نحرر أرواحنا"

بلا "إننا نستطيع أن نحرر أرواحنا".على الرغم من بقاء الحصون المعادية، فالعهد القديم قد مضى عندما دفن المستعبدون مراسم الاستعباد، وهذا ما حدث في ملايين من أذهان الزنوج. وقد تساءل أحد رجال الأعمال البيض: "هل أصبح الزنوج الأن يسيرون وقاماتهم منتصبة أم إننى يخيل إلي ذلك؟" ولذا علق أحد الزنوج على ذلك بقوله: "لقد انتصبت قاماتنا فعلا ! أخيرا! يا إلهي، أخيراً".! أخيرا! انتصبت قاماتنا. بعد أن انتحب الزنوج من الاضطهاد مئات من السنين دون أن يعيرهم ملايين من البيض الأمريكيين بالا ولا كرامة، ودون أن يشعروا بمرارة ما يعانيه السود، إلا قلة قليلة من البيض. وفجأة انتهى الصمت وتحول النحيب إلي زئير سمعه الأمريكيون كافة داخل مساكنهم وفى كل شيء حولهم حتى تحولت خطوات الزنوج نحو الحرية إلي سباق تحت أنظار الدولة كلها. واضطر الأمريكيون البيض أن يواجهوا هذه الحقائق البشعة التي رأوها في وضح النهار دون محاباة.

وباستثناء الحرب الأهلية وفترة إعادة البناء، لم يسجل التاريخ الأمريكي حركة واسعة النطاق قام بها الزنوج ليغيروا بها مجري

حياتهم، مثل هذه الحركة، ولم يسجل التاريخ فجوات في جليد العنصرية كما حدث في صيف 1963م.

وقد استقرت برمنجهام بعد تلك العاصفة، وإنها سارت في حركة بناءة تحقق كل هذه الأماني. فبعد أن حقق البيض الالتزامات للزنوج، مرغمين، قام بغاه منهم خلال القرن العشرين برحلاتهم الدموية في الليل، وفي صباح يوم مشئوم من شهر سبتمبر كانوا قد قتلوا وقضوا على أربع فتيات كن يدرسن في مدارس الأحد، ثم قتل رجال البوليس طفلاً في الطريق، وبلغت ذروة حقد الشباب البيض بقتل صبي زنجي كان يسير بدراجته فى الطريق دون سبب. كلها كانت أعمالاً شنيعة. لكن قد ذادت خيبة الأمل في أن يبدي ذوو الشأن أي بادرة من الندم، أو أن يحاول البيض تقديم أي مساعدة على سبيل التكفير عما أصاب الزنوج، لكن العكس هو الصحيح، فقد تلاشت الآمال. ورفض مجلس المدينة بإصرار أن يعين السود ضمن رجال البوليس. وعلى الرغم من ذلك كان يسود المدينة جو من الكآبة يعرقل كل تقدم بناء مع افتقار ضمير غالبية البيض إلي الإنسانية يبدو بوضوح في جنازات الأطفال الشهداء، فلم يحضرها أي موظف مسئول من البيض بل ولم يتجرأ على الانضمام إلا عدد محدود من رجال الدين البيض. في ذلك اليوم المشهود لم يدفن الأطفال الشهداء بمفردهم، لقد دفن معهم الشرف والكرامة.

وارتفعت بعض أصوات من الأهالي البيض، لكن لم يستمع إليهم إلا القليلون وصرف الزنوج النظر عن الزعماء السياسيين، وبحثوا عن رجال الصناعة، بأمل أن يعاونوهم على تطبيق تعهدات اجتماع شهر

مـايو. ومـن المعلـوم أن كبـار رجـال الـصناعة مـستقلون، ولـديهم إمكانياتهم الخاصـة، حيـث تقـع ممتلكـانهم في الـشمال لـذلك فـإن أصحاب مؤسـسات الـصلب والعـاملين بهـا لا يخشون أحقـان أهـل الجنوب العنصريين، وهذه المؤسسات تشكل قوة هائلـة ذات سـلطان، ليس على برمنجهام فقط بل وعلى الدولـة أيـضاً، وبالنـسبة للعـالم أجمع. وبعد انتظـار دام شـهوراً أعلـن روجـر بـلاو رئيس مؤسـسة الـصلبب في نيويـورك أن المؤسـسة علـى الـرغم مـن سـلطاتها في برمنجهام، لا تري أنه من المناسـب أن تتـدخل في الـشئون الداخليـة الخاصة بالعنصرية، وأضاف قائلاً: "لقد قمنا بالتزاماتنـا في برمنجهـام كاملـة" ولـو أن تلـك المدينـة صـدرت بهـا تـشريعات مجحفـة في الضرائب أو بالنسبة للإنتاج، لاسـتعملت مؤسـسة الـصلب سـلطتها لتقويم الأمور، لكن والضرر لا يحيـق إلا بـالأفراد، ولا يتـأثر بـسبب الخلافات العنصرية، بل العكس هـو الـصحيح، لـذلك أعطـت تلـك المؤسسة ظهرها أمام استنادنا بها.

في ذلك الوقت أشار الكثيرون، أن برمنجهام أصبحت سـاحة قتـال لمعركة خاسرة. ويقي علينا أن نسأل: هل تكون مقاومـة البـيض مـن التعنت، بحيث ينتهى نضال الزنوج وبطـولتهم وتـضحيتهم - علـى حد قول إليوت "بنشيخ بدلاً من التهليل؟".

مكتبة الرمحي أحمد

موقعة بونكر هل

ومنذ خمسة وسبعين عاماً، حاول مزارعون من ولاية نيو إنجلانـد

أن يدافعوا عن التل (وهوالمكان الذى كان المزارعون يعيشون فيه) ضد قوات جنود بريطانيا المدربين.وكان عدد المعتدين أكبر عدداً وعدة، بينما المزارعون لا خبرة لهم بالتدريب العسكري، ومع ذلك استطاعوا أن يصدوا هجوم البريطانيين مرتين، ومع أن قوات الملك جورج استولت على التل، إلا أن موقعة بونكر هل، أصبحت بمثابة المحراب للثورة الأمريكية، وكان رجال الثورة يستلهمون من ذكري معركة "بونكر هل" شهرتهم للانتصار الذي أحرزوه في معركة يوكاتان.

في موقعة بونكر هل أصبح للغوغاء جيشاً، وهكذا كسب الأهالي احترام أعدائهم لهم، وفي الأيام التالية للحرب لم يحاول البريطانيون أبداً أن يقتحموا أي موقع حصنه الأمريكيون، وكان هؤلاء الأمريكيون الذين خذلوا في المعركة هم الذين انتصروا في الواقع.

والفارق بين معركة بونكر هل وبرمنجهام، هو أن الزنوج لم يتقهقروا في المعركة، وأنهم فازوا بقدر من الكسب، فإلغاء العنصرية، على أساس الرمزية، يبدو كأنه فجوة هزيلة، لكنها على أية حال تعتبر إنتاجاً جباراً.

نعم لقد استقرت أحداث برمنجهام أكثر من ذلك، إذا كانت بمثابة الشعلة التي أطلقت الثورة ودفعتها نحو انتصارات وانتصارات. في حالة هدوء.

إن الفرصة ما زالت سانحة أمام برمنجهام لتنفذ ما وعدت به راضية. وسواء رضيت أن تفعل ذلك أم اضطرت إلي ذلك مرغمة

بسبب ما يستجد من مظاهرات، فالحكم في ذلك يرجع لرأي البيض من سكانها.

ومما لا شك فيه أنه لا مناص لها من أن تتصرف بإحدي الطريقتين، لأن بونكر هل كانت جزءً من أمريكا وسوف تتكرر معركته على أيدينا.

وفي أول الأمر لم يكن لدي القائمين بالثورة خطة شاملة للعمليات الخاصة بالحركة، لذلك لم يكن لدينا بيانات كافية لنحدد بدقة مدي أعمالنا وانتصاراتنا.

السرعة التلقائية

إن الثورة تسير فى خط له أهدافه، إلا أن خطواتها وحركاتها لا تخضع لنظام دقيق موضوع، والطابع الواضح في ثورتنا كان السرعة التلقائية، فحالة الظلم، والتمييز العنصري، والتحقير بالزنوج قائمة على كافة نواصي الشوارع، والمدن شمالاً وجنوباً وكان اختيارانا للهجوم بالمدن الكبيرة تلقائياً ودون تدبير، وكنا نعمل حيثما نجد قادة من الزنوج، كنا نعمل على قيام زوبعة جديدة من الاحتجاج. كانت بعض المدن أكثر تعنتاً من غيرها، مثل مدن سافانا، وأطلانتا، وناشثيل، وعلي الرغم من ذلك، فإنها لم تفلت من أيدينا لأن قادتنا كانوا مصرين على العمل أينما كانوا

أما في بعض المناطق الأخري، فكان الأمر فى صالح البيض، حتي إن الظلم فيها أصبح وضعاً مسلماً به يدافع عنه الرجل الأبيض. وقام

العنصريون وجندوا ضد جيشنا المسالم حشوداً حاقدة علينا.

وأضيف إلي معركة أمريكا، أحداث ولاية ميسيسبي ففى مدينة أكسفورد التى هاجم فيها المحبون للدماء رجال الأمن الفيدرالي، مما أسفر عن قتل شخصين، وكذلك أحداث مدينة جاكسون حيث اغتيل مدجاز أفيرز سكرتير الإتحاد الوطني الشجاع. وفي جاسندن بولاية ألاباما استعملوا ضد الزنوج سلاحاً جديداً همجياً "السيخ الكهربي" الذي يستعمل لمنع شرود قطعان الماشية، وفي دانفيل بولاية فرجينيا رأي الأهالي البيض الكرماء أن قوة البوليس ليست بكافية فتمنطقوا بمسدساتهم.

واختلفت مدينة كامبردج، وماريلاند، وروما، بولاية جورجيا، من حيث درجة القسوة والحقد، لكن موقفها كان واضحاً في مقاومتنا، وإلا أن كل اشتباكاتنا باءت بالفشل لكنها من جهة أخري نصراً من نوع ما، فقد فشلت قوي البيض في أن تفرق بين السود، حتي إن لطماتهم جعلتنا أكثر إرتباطاً وشدت من أزرنا للمقاومة، وللبحث عن سبل جديدة تدعم شجاعتنا.

فالأعمال البطولية المهزوزة المنفردة التي قام بها السود العبيد فيما مضي بأرض الجنوب، امتزجت ببعضها بعد مرور قرن من الزمن وأصبحت هجوماً ضخماً موحداً ضد العنصرية.. كذلك انتقلت الصفات الحميدة التي مقصورةعلى البيض في الجنوب، مثل الكاسية، والإخلاص، والاعتزاز بالنفس - انتقلت إلي المتظاهرين السود، وأصبحت من حقهم بفضل ما قاموا به في ذاك الصيف.

كان بعض المراقبين يميل إلي الإقلال من قيمة تلك الأحداث، واعتبروا بطولة المسيرة ومأساة المجابهة (من الجنود والكلاب) عملاً يقوم باعتباره مظاهرة ليس إلا. وهذه الأعمال في حد ذاتها لها قيمتها دون شك، ولكن تجاهل المكاسب التي أحرزناها وهي التي أدت إلي هدم صرح التفرقة، إن من يتجاهل هذا كالذي ينظر إلى الأمطار دون أن يلاحظ أنها تغذي الأرض لتأتي بالثمار. فأي حركة اجتماعية تحرك الشعوب هى تمرد. أما الحركة التي تغير نفسية الشعوب والهيئات فهي ثورة. ولقد كان صيف عام 1963م ثورة، لأنه تسبب في تغيير أمريكا. ولأن الحرية مرض معدى، فقد ارتفعت حرارتها حتي أصابت ما يقرب من ألف مدينة، وعندما وصلت الذروة أصابت حرارتها كل مكان، وأصابتها بالإدماج.

وبدأت فرص العمل في مجالات جديدة تتفتح ببطء ودون نظام موضوع أمام الزنوج، أما في المدن الكبري فقد إتخذ استخدام الزنوج شكلاً آخر، إذ وجدت كثير من الشركات أنها واقعة في الكثير من المشاكل. ولم تستخدم الزنوج، ولذلك فإنها تحتاج إلي ضم عدد منهم إلي العمل بها ولو من باب إثبات أنها غير متحيزة ضدهم. ولأول مرة في تاريخ تلك البلاد وجد الزنجي المدرب على العمل أن تلك الشركات تستدعيه... للعمل بها. وشعروا أنهم أصبحوا على كوكب جديد. وبدأ بوجه حق أن يسعد بتقهقر التمييز العنصري، وإن كان هذا التقهقر بطيئاً.

ولقد كان لذلك أثراً مدوياً في برمنجهام حتي وصل إلي كل الآفاق في واشنطن، حيث كان رجال الحكومة قرروا تأجيل

التشريعات الخاصة بالحقوق المدنية لعام 1963م، وأسرعت تلك السلطات لبحث تلك التشريعات وصاغت مشروعاً بقانون قد حددت له تاريخاً على رأس القائمة بجدول الأعمال بالكونجرس. وكان الضمان بأننا سنصل إلي هذه النتيجة، كان ما هو إلا التضامن الضخم الذي تعاهدنا عليه نحن الزنوج للدفاع عن الحقوق المدنية في صيف عام 1963م.

وبعد أن تحرز الثورة نجاحا مبدئياً، يجب علي الثورة الاجتماعية أن تقوم بعمليتين:

الأولى: أن تجذب إليها قوات جديدة تغذيها بدم جديد.

الثانيةً: أن تبلور إمكانياتها للمقاومة؛ وقد اتبعت ثورتنا هذا الوضع، حتي اكتسبت عطف ومساندة البيض والسود على السواء. وازداد عدد الهيئات المتفرعة من منظمة المؤتمر القيادية من 85 إلي 110، كما حضر ما يقرب على مليون أمريكي للمساهمة في مظاهرات الاحتجاج في واشنطن - ونيويورك، ولوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، وكليفلاند، وشيكاغو، ودترويت.... إلخ.

وأخيراً، قامت مئات من الهيئات الوطنية، والدينية، والعمالية، والوظيفية بإصدار قرارات باسم الملايين تعبر عن تأييدهم لحركتنا النائية. وقد كان من المتوقع ألا يؤمن بها الزنوج. ولعلم الزنوج بان حركتهم تعتمد على العمل السلمي المباشر، طلبوا ممن يُعاونوهم أن ينضموا إليهم أثناء المظاهرات، حتي يصبح تصريحهم فعلياً لا مجرد تعليق شفوي.

وهكذا وجد رجال البوليس أنفسهم أمام مشكلة من نوع جديد، عندما بدأ رجال الدين من ذوي المراكز القيادية يدخلون السجن مع الزنجي العادي سواء بسواء. وكذلك اضطروا إلي أن يلقوا القبض على رئيس الكنيسة "الأسكوتلاندية" الذي جلس في سيارة البوليس بين أحد الخدم الزنوج وسائق لوري زنجي، ثم انضم للحركة كبار رجال الدين من اليهود والكاثوليك والذين ساروا في الصفوف الأمامية أثناء المظاهرات.

كان المتوقع أن يقوم العنصريون بالمقاومة، لكننا لم نتوقع مقاومة من غيرهم. وقام نسل هؤلاء المعتدلين من الذين يعتبرون أنفسهم أصدقاء مؤازرين لحركة الدفاع عن الحقوق المدنية في عام 1963م ومشوا تحت لواء ينادي بضرورة التمسك "بالنظام قبل العدالة"، ولم يؤمنوا بفلسفة العنصرية والإرهاب، لكنهم كانوا يصارعون منطقاً سلبياً لم يتعين عليهم أن يواجهوه في حركة الزنوج.

كانوا عادة يتفقون على تسوية يسهل الوصول إليها. وعلى تعبيرات رمزية حيث يعتقدون أن الزنجي راض عنها. لذلك تراجعوا أمام الحركة التي قمنا بها. كان الزنجي في تلك الحركة يطالب بتطبيق العدالة على الجميع دون استثناء، بالنسبة إلي فرص العمل، والإسكان، والتعليم، والحرية الاجتماعية. بل الحق في الحياة كاملة للجميع. وكان هؤلاء المعتدلون قد قطعوا مرحلة لا بأس بها، ولكن عندما فؤجئوا بطلب تطبيق العدالة بالنسبة لجميع الزنوج، تراجعوا القهقرى.

وحل الاستياء والضيق محل الحماس، وأعرضوا عندما واجههم

الزنوج بتلك الحركة. فهؤلاء الرجال والنساء ليسوا أعداءنا الحقيقين حتي ولوترددوا. فمن المحتمل جداً أن يصبحوا حلفاءنا.

كذلك يمكن القول بأن موقف هؤلاء المعتدلين دليل على أن الثورة أثبتت. وأن عملية استئصال العنصرية عملية معقدة. فعلينا أولا أن ندرس تاريخها، فقد أصبح الأمريكي الأبيض مقيداً بحبال من التحيز ضد الزنجي، وتغذي هذا التحيز بفكرة التفرقة بين الشعوب.

استئصال العنصرية

لقد ولد الشعب الأمريكي وسط التمييز العنصري، وأصيب به عندما اعتنق المبدأ الذي ينادي باعتبار الهنود الحمر شعباً دون المستوي البشري. وكانت العنصرية قد وصمت أهل البلاد البيض بطابعها الحقود. فمنذ القرن السادس عشر كانت الدماء تسيل في المعارك لكي يسيطر شعب على شعب آخر بحجة تفاوت المستوي. ولعل الشعب الأمريكي هو الشعب الوحيد في العالم الذي حاول القضاء على سكان البلاد الأصليين التي فتحها فى محاولات دموية بحجة أنها حملة مقدسة.

وللآن، ما زلنا نعلم أطفالنا أن يقدسوا ذلك العنف الذي أهلك الهنود الحمر، وأنهىعلي ثقافتهم وحولهم إلي مجموعات متناثرة في قري معزولة. ويمكن مقارنة ما حدث في الولايات المتحدة بما فعله أهل أمريكا الجنوبية الذين احتضنوا هؤلاء الهنود الحمر واحترموا

ثقافتهم وأقاموا الكثيرين منهم في مناصب كبري.

وعلى هذا أمتد حقد الأمريكيين على الهنود الحمر بسرعة إلي الحقد على الشعوب الملونة أجمع، وتسببت هذه العنصرية في إفساد وإضعاف الروح الديمقراطية ومبادئها. وتلك هي الشبكة التي وقع فيها الأمريكيون البيض، الآن وهم يحاولون التخلص منها دون أن يدركوا مدي تغلغل خيوطها في أذهانهم.

قد علمنا التاريخ أن استلال السيوف ضد التعسف العنصري غير مجد لأن الجذور عميقة. فقد فشل الهنود في استعمال الرمح والسهم، أمام بنادق البيض. ولكن التاريخ علمنا أيضاً أن لا يأتي بنتائج مرضية، والزنوج اليوم لا يؤمنون بالعنف، لكنهم لا يقبلون السيطرة عليهم.

إن سياسة عدم العنف التي يتبعها الزنجي ليست فقط علاجاً للظلم، بل إنها تهاجم أيضاً أسطورة التمييز بين المستويات البشرية كشعوب. ولا يمكن أن يتجاهل أحد أن شعباً دون آخر بشري يستطيع التضحية والشجاعة والمهارة كما فعل الزنوج.

إننا نصبو إلي مجد الحرية، والزنجي يكافح اليوم لتصبح أمريكا بلداً أكثر سمواً، وسوف يكتسب إلي صفة غالبية الدولة بلا شك لأن تراثنا في الكفاح أقوي من تقاليد الظلم والقسوة.

إن الزنجى لم يكن أبداً مشاكساً كما يظن البعض وأن الطرق التي يستعملها تفسد كيان الغالبية البيضاء - لهؤلاء أقول: إن البحث الذي قامت به محللة نيوزويك في أواخر عام 1963م، على قطاع من

البيض، أسفر عن ميل أغلبية ساحقة ممن يؤيدون حق الزنوج في التصويت، وحقهم في فرص العمل، والإسكان والمواصلات. وتلك النماذج في الجنوب والشمال على السواء. أما بالنسبة إلي إدماج المدارس والمطاعم، فقد أثبت البحث الذي قامت به المجلة المذكورة، بأن نفس الأغلبية البيضاء تؤيده في الشمال، ولو أن النسبة هبطت قليلاً في الجنوب.

ونستنتج من هذا، أن البيض الذين لا يؤمنون بالعنصرية، بدأوا يؤمنون بالتمييزات التي نطالب بها في مظاهراتنا، وأصبحت تلك المطالب معقولة في نظر كثير من الأمريكيين البيض.

أما ذلك الصيف التي إتسم بضجر الزنوج، فقد أدي إلي تفاهم أعمق بين السود والبيض، بدلاً من أن يبعدهم عن بعضهم البعض.

الفصل الثامن

الغد القريب للحرية:

كان الزنجي مجرد سلعة يمتلكها الرجل الأبيض منذ مائة وخمسين عاماً، اتفق ملاك الزنوج على تقليد يتيح للعبد أن يشتري حريته. فكان الشاب الذي يقع في غرام شابة من بني لونه مثلا، يقوم بأعمال إضافية، حتي يجمع مبلغاً يشتري به حريته وحرية حبيبته. وكم من أم، بعد أن تنتهى من عملها تقوم في أثناء الليل بغسل الملابس، مقابل نقود تجمعها، لكي تحصل على مئات من الدولارات، تشتري بها حرية ولدها أو ابنها دون نفسها. وتلك النقود، كانت تدفع إلي مالك العبيد مقابل ورقة تثبت أن صاحبها أصبح حراً.

وكان بعض الزنوج قد كرسوا حياتهم ليحرروا بعض إخوانهم من الرق، فقد قامت إحدي خادمات "توماس جفرسون" بالعمل لمدة أربعين عاماً جمعت في أثنائها 10.000 دولار، حررت بها تسعة عشر فرداً من أبناء بلدتها. وبعد فترة من الزمن، قام بعض البيض من ذوي النخوة والإنسانية، بحملة لجمع الأموال لتحرير الزنوج. حتي

إن جيمس راسل لوريل الذي عارض فكرة التحرير عن طريق التعويض المالي، كتب لأحد أصدقائه يسأله: "إذا قصدنا رجل لنساعده على شراء حرية زوجته، ماذا عسانا أن نفعل؟"

وأصبحت شعارات الاستنجاد مثل "عاونوني على شراء أمي" "ساعدونى على شراء طفلي" أصبحت نداء مؤلما لبشاعة الاستعباد.

وبينما نعالج الآن مشكلة تحرير الزنوج، تصبح هذه النظرة العابرة، بل هذا التاريخ تاريخ نظام ينص على استبدال الكرامة البشرية بالدولار، تصبح هذه النظرية تذكرة مؤلمة على قدرة المجتمع لأن يقف دون أن يبدي حراكا أمام الظلم، هذا التجاهل القاسي ما زال قائماً حتي أيامنا الحالية، حيث يتساءل ذوو النفوس الطيبة: "وماذا عسي على أن يدفع الزنجي إذا أعطيناه حريته"، "وماذا ينتظر الزنجي من مزيد بعد أن يحصل على حق إدماج المدارس، والتمتع بالمنافع العامة، وحق الانتخاب (ورفع قيود) الإسكان؟. هل يطلب المزيد مثل أوليفرتويست[10].

والمفهوم هنا هو الإدعاء بأن من حق المجتمع أن يساوم الزنجي على الحرية التي هي حقه الشرعي. إنهم يجهلون أن التدرج في التنفيذ والاعتدال لا يمكن اعتبارهما رداً جيداً على الإتهام الأخلاقي الذي ظهر أخيراً على مسرح ثورتنا في عام 1963م. بل ولا يدركون أن المرء ليس في مقدوره أن يعيش نصف حر، كما أنه ليس في مقدوره أن يكون نصف حي.

---

[10] بطل رواية بهذا الأسم من تأليف تشارلز ديكنز.

ومن ناحية أخري، يمكن القول أن الأمريكي الذي يسأل: "ما الذي يرغبه الزنجي من مزيد؟" أو "كيف نضع حدا لتلك المظاهرات؟"، إنما يطلب من الزنجي أن يشتري شيئاً يملكه في الأصل بمقتضي القانون، والعدالة، والتراث الديني. ويطلب منه أن يقبل نصف الرغيف وأن يدفع ثمنه وينتظر راضياً لكي يحصل على فتات النصف الآخر خلال شتاء طويل من الظلم. فهل كان الذين وضعوا إعلان التحرير كانوا يهدفون إلي تفسيم الحرية على أقساط تدفع على خطة طويلة المدي؟ ألم تضع الطبيعة طريقة واحدة لتوالد البشر؟ أو أليست الحرية عكس الاستعباد؟ أليس من الضرورة أن ينتهى أحدهما ليبدأ الآخر؟.

ونظراً لأن الزنجي يدرك أن الفرد - أو الدولة - لا يمكن أن يكتب له البقاء فقد طبع على اللواء الذي يحمله كلمة: "الآن" ويقول الزنجي إن الساعة أزفت لتتخذ أمتنا خطوة جريئة إلى الحرية، لكي تدفع ما تراكم عليها من ديون لباقي أفراد الشعب من الملونين. والتخلص من حالة البربرية.

وقد أعطت المدنية للبشر القدرة على التنظيم والتخطيط والتنفيذ، بل ومن السخرية أن تكون القوات المسلحة في هذه الدولة، حتي في أيام الحرب، أسيرة لنظام العنصرية، بينما المسئولون في الجيش يستطيعون انتزاع الجندي من وسط زوجته وأولاده، وأن يغيروا حياته خلال أسابيع، إلا أنهم لم يدركوا أن من واجب الجندي الأبيض أن يحترم الجندي الأسود.

لذا فيجب أن يكون عندنا قدر من التصميم، لكي نستطيع أن

نزيل العنصرية القبيحة من أمريكا. وبطبيعة الحال، نستطيع أن نفعل ذلك كله، لكننا سنفشل في النهاية دون شك. فنظام العالم لا يسمح لنا بفخفخة التدرج في العمل والتسويف، وهذه الطريقة ليست منافية للأخلاقيات فحسب، بل هي أيضاً غير عملية، فقد اكتشف الزنوج أن الكفاح السلمي المباشر قوة لا تقهر، ليس بالنسبة للزنجي فقط بل وبالنسبة إلي الدولة.

العمل الثوري

من المؤكد أن التدرج في العمل الثوري أمر غير عملي، كذلك بالنسبة للعمل الارتجالي. فعندما تقدم ركب التاريخ في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين، ترك العالم خلفه حشود الزنوج وحيدة مغلوبة على أمرها. كانت حشوداً غير مثقفة، غير مدربة، تقيم في منازل قذرة، وتشكو من سوء التغذية. وقد يكون تقدم الخدمات والتسهيلات الآلية التي انتشرت نعمة على اقتصاديات الشعب، لكنها نقمة بالنسبة للزنجي، فمنذ سنين مضت كان 350.000 زنجي يعملون بالسكة الحديد، لكن عددهم تهاوي إلي 50.000، وهذا مجرد مثال لما حدث في مناجم الفحم، ومصانع الصلب، وغيرها من مجالات الصناعة، حيث كان يعمل الزنجي، وهكذا تهاوت سبل العيش أمام الملايين من الزنوج بشكل مخيف، لأن الأعمال التي تتطلب عمالاً دون المستوي من الخبرة، أو من ذوي المهارات المحدودة، قد اختفت حال ظهور الآلات. وأصبح الزنجي بثقافته المحدودة يعيش فى جو الفقر.

وإذا حاولنا القضاء على هذه الكارثة بفتح بعض الأبواب للجميع، لانتهى بنا الأمر إلي الفوضي. فنحن لا نستطيع أن نخرج عن مناطق الحظر بعض أفراد منها، بينما نترك الكثيرين من السكان ينتظرون دورهم وهم في أكواخهم ومساكنهم الحقيرة. ولا نستطيع أن نقلب مناطق الحظر رأسا على عقب بحركة عصبية، ونلقي بإناس من جميع المستويات في سيل متدفق لتجتذبه القوي الاجتماعية وتضعه فى مكان ملائم. إن كلتا الطريقتين - سواء التدرج أو الاندفاع - ينتج عنهما اضطراب اجتماعي يسئ إلي المحرومين وأصحاب الامتيازات علي السواء.

إن الحل لمشكلة الزنجي المعقدة ليس بالأمر السهل، ولكنه ليس مستحيلاً. منذ زمن وجيز، ظهرت أنا وولكنز في برنامج تليفزيوني بعنوان: "مع الصحافة" وواجهنا السؤال التقليدي عن ماهية رغبة الزنجي في المزيد؟ لكن كان هناك تيار خفي جديد يشير إلي قوة حركتنا. كانت الأسئلة في الواقع تهدف إلي الاستفسار عما إذا كان في استطاعتنا أن نقف في مواجهة موجة السخط وأن نصدها، وكانت بعض الأسئلة توحي بأن قيادتنا ستقوم على أساس مقدرتنا في الحد من ذهاب الزنجي إلي "أبعد مما ينبغي"، ومع أن هذا التعبير من عندى إلا إنه يعرب عن الأمريكين الآخرين.

لم يتح لي البرنامج الفرصة بأن أجاوب بطريقة مجدية على التلمحيات الكامنة وراء سؤالهم "ماذا يرغب الزنجي من مزيد؟"، فإننا إذا قلنا إن الزنجي يطالب بالحرية والمساواة الكاملة والسريعة ليس في أفريقيا أو في بلد آخر خيالي بل هنا، على هذه الأرض،

كان ردنا مختصراً مفيداً، ولكن هذا هو الواقع، فالزنجي لم يعد يحتمل أو حتي يفكر في التسوية. وتاريخ أمريكا حافل بالتسويات. ومهما كانت صياغة إعلان التحرير، فقد أصبحت تشتمل على مضمون مريب، وقد سجل تاريخ أمريكا ومنها:

الأولى: تسوية (ميسوري) التي أتاحت انتشار الرق في ولايات أخري.

الثانية: تسوية هايز تلدن التي سحب بمقتضاها الجيش الفيدرالي في الجنوب، وأعلنت نهاية إعادة البناء.

الثالثة: تسوية محكمة القضاء العالي في قضية بلسي فرجسون التي قامت على فلسفة "منفصلون لكنهم متساوون"

وكافة هذه التسويات لم تقض فقط على حرية الزنجي، بل علي نزاهة أمريكا كلها. وفي أثناء فترة التفجير، أصبحت كلمة التسوية مرادفة للكفر والأذي.

فغالبية قادة حركة الزنوج يعارضون فكرة التسوية، وحتي لو لم يكن الأمر كذلك، فلا يوجد من بين هؤلاء القادة من يستطيع أن يحول من مسار أوإتجاه الحركة وقوتها الدافعة.

إن الكثيرين من البيض قد أساءوا فهم هذا الوضع، لأنهم لم يلمسوا بوضوح طبيعة ثورة الزنوج، لكن ثورتنا ذات جوهر حقيقي لأنها انبثقت من نفس الأحشاء التي خلقت التجمعات الاجتماعية الضخمة، ولوحق لنا أن نعترف بوضع مثل هذا، لا نطبق الأمر على الذين تمكنوا بقانونهم الغاشم أن يشعلوا غضب الزنوج. وأذكر هنا

ما قاله لي الرئيس كنيدي في البيت الأبيض عقب التوقيع على إتفاق برمنجهام.

قال: "يجب ألا نقسو في حكمنا على بوور كونور، لأنه على طريقته الخاصة، سن قوانين متعددة بخصوص حقوق الإنسان هذا العام"

لقد كان الشعب هو الذي يحرك القادة على عكس ما يحدث عادة. كما هو الحال في جميع الجيوش، فقد كان مركز الرئاسة الفعلية ينبع من القلوب المتفجرة لملايين الزنوج. وعندما تتحرك شعوب مثل هذه، فإنها تضع نظرياتها، وتخط مصيرها بيدها، وتختار القادة الذين يشاركونها.

والقائد الذي يدرك هذا، لابد وأن يلمس بسرعة كل ما يحرك بني جنسه من غضب، وضيق النفس، وشعور بالسخط، ورغبة عارمة. وأي قائد يحاول أن يكبت تلك الأشياء، إنما يحكم على نفسه بالهلاك عندما تنفجر.

لقد علق البعض على أنٍ مجموعة قليلة من القادة استولوا على السلطة وطردوا الباقين بعيداً، يعتبر مبالغة. إن أعداء تقدم الشعوب، وبعض الذين يدعون أنهم "موالون" لهؤلاء الشعوب ليسعدون بفكرة انتشار الفوضي في صفوف الذين يدافعون عن الحقوق المدنية.

والحقيقة التي لا مناص منها، هي أن وحدة الحركة طابعٍ واضح لا شك فيه، فالوحدة لا تعني الإتفاق الكامل دون قيد أبداً، وإلا لما استطاع أفراد قد كرسوا أنفسهم لخدمة الديمقراطية مثل: توماس

جفرسون، وجورج واشنطن، وتوماس باين، واتوقراطيين مثل: الكسندر هامولن، بأن يقوموا بقيادة الثورة الأمريكية موحدة. وقد استطاع كل من جفرسون، وواشنطن، وباين، وهاملتون - استطاعوا أن يعملوا معاً وأن يتعاونوا، وعندما يرتفع النداء للتحرر، بحيث يصبح قوة ملموسة، لا يمكن لأي من كان أن يقاومة، وعلى القيادة الحكيمة والمجتمع المتزن أن يدركا هذه الحقيقة.

إن ثورة الزنوج لا تعترف بالتقهقر، والذين لا يسرعون للحاق بالركب يجعلون أنفسهم متخلفين عنه. لقد كتب بعضهم يقول: "إذا كنت على حق لا تكن متطرفاً، وإذا كنت مخطئاً لا تكن محافظاً متزمتاً"، والزنجي يعلم أنه على حق إنه لا يهدف إلي السطو على ملك الغير، بل يرغب فقط في الحصول على حقه. وعندما ينظر إليه على أنه يحاول الحصول على هذا الحق الذي حرم منه لمدة طويلة، اعتبار ذلك منحة يرنوا إليها بطمع وشراهة، لا يجد في قرارة نفسه إلا أن يحاول بالمثل السائد بين الأمريكيين: "إذا كان هذا خيانة، فلنستغلها إلي أقصي حد ممكن".

إن من الأعمال الحيوية التي علينا أن نفجرها، عملية إعادة تأقلم الدولة في نظرتها إلي الزنجي، مع مراعاة تعويضه عما فاته بسبب تخلفه عن ركب الحضارة في الماضي. والسؤال هو: كيف يمكن امتصاص الزنوج داخل المجتمع الأمريكي إذا لم نهيء الأمر لهذا، بحيث نعد العدة ليتمكن الزنجي من الدخول إلى الحياة على أساس سليم؟.

منذ عدة أعوام شرح لي نهرو رئيس وزراء الهند (الراحل) كيف تعالج بلاده مشكلة المنبوذين من المجتمع، وهو موضوع كبير الشبه بمشكلة الزنوج أو الملونين، وقال إن كثيراً من الهنود ما زالوا متحيزين ضد هؤلاء الناس من المهضومي الحقوق، ويرجع ذلك من ناحية إلى جهود المهاتما غاندي الذي أعرب عن رأيه عندما تبنى إحدى الفتيات من المنبوذين، ومن ناحية أخرى، فإن دستور البلاد ينص على أن التفرقة بين المنبوذين وباقي أفراد الشعب تعتبر من الجرائم التى يعاقب القانون عليها بالسجن.

إن حكومة الهند تنفق الملايين من الروبيات سنوياً لتنمية الإسكان، وإيجاد عمل في القرى التي تغص بالكثيرين من المنبوذين، وإذا ما تقدم اثنان في مسابقة للالتحاق بكلية، وكان أحدهم من المنبوذين، فعلى الكلية أن تختار هذا الأخير دون زميله.

وسأل البروفسور لورنس ريديك الذي حضر الحديث، سأل: (أليس هذا تفرقة في المعاملة؟) وأجابه نهرو: (قد يكون الأمر كذلك، لكن هذه طريقتنا في التكفير عن مئات السنين من الظلم الذي طبقناه على هؤلاء الناس).

وعلى أمريكا أن تجد طريقها للتكفير عن المظالم التي فرضتها على الزنوج الأمريكيين. وأنادي برفع مستوى الزنجي إلى درجة تتيح له فرصة العيش.

ونحن إذ نعالج المشكلة الأمريكية، نجد أنه بدلاً من أن نسأل:

(ماذا يرغب الزنجي من مزيد؟) يكون السؤال الملائم: (كيف نجعل الحرية حقيقة واقعة ملموسة بالنسبة لأفراد الشعب الملونين؟، وما هي الطريقة المثلى للوصول إلى الهدف بأسرع وقت وعلى أحسن وجه؟ وكيف نعالج المقاومة ونتغلب على الصعاب التي تنتج عن أخطاء الماضي؟).

علينا أن نجد طرقاً جديدة لمعالجة هذه القضية، لأننا وصلنا إلى فترة جديدة في نمو الشعب، البيض والسود، إن الزنجي لا يكافح اليوم ليحصل على حقوق خيالية، لكنه يبحث عن تحسين ملموس في طريقة معيشته. ولكن ماذا يعود على الزنجي من ميزة الاندماج، إذا كان لا يستطيع أن يدفع نفقات الأكل في المطاعم والفنادق لأنه مقيد بنوع من الاستبداد المالي. كذلك لا يكفي أن يكون للزنجي الحق في دخول أي مكان عام، بل يجب أيضاً أن يدمج في الاقتصاديات (الأمريكية) بحيث يستطيع أن يمارس هذا الحق.

والزنجي عندما يطالب بحق خاص فهولا يطالب بصدقة ولا يرغب في أن يبقى معلقاً بكشوف الإعانات الرسمية، وهو في ذات الوقت لا يرغب في عمل لا يحسن القيام به لعدم صلاحيته، ولا أن يقال له لا توجد أماكن لتدريبه ليصبح صالحاً لهذا العمل. يترتب على ذلك ضرورة أن تقترن المساواة بفرص العمل التي تهئ الزنجي انتهاز هذه الفرصة.

إن الولايات المتحدة تعترف دائماً بوجوب تطبيق نظام خاص على المحرومين، وقد ذكرت الجمعية الأهلية لإصلاح المدن، أننا نوافق بمقتضى مشروع مارشال (Marshall Plan) على منح المساعدات

الفنية للشعوب ذات العوائق في العالم، واقترحت اللجنة أن من واجبنا أن نقوم بنفس الخدمة بالنسبة إلى شعبنا. وقد تمسكنا بهذا المبدأ عبر التاريخ، وهو مبدأ الذي قدمت بمقتضاه منح تمليك الأراضي للزراع الذين حاربوا في جيش الثورة، والذي قام على أساسه قانون تشغيل الأطفال، والضمان الجماعي، والتعويض في حالة البطالة، وإعادة تدريب العاملين... إلى غير ذلك.

وإبان الحرب العالمية الثانية كان شعبنا محروماً من بعض الامتيازات والفرص، ومنحنا - على سبيل التعويض- بحفنة من الحقوق سميت وثيقة الحقوق وأعطى رجال الحرب القدامى امتيازات خاصة بشراء منازل بالتقسيط وبدون ربح على الأقساط، وحصلوا كذلك على امتيازات تعطيهم الأولوية في الحصول على وظائف بالخدمات المدنية. وأصبح لهم الحق في العلاج، وإذا كانت بهم إصابات أ وأمراض نتيجة لخدمتهم في الجيش. وبالإضافة إلى كل هذا، كانوا يعيشون في جو ودي يفتح أمامهم أبواب العمل في كافة سبل الحياة.

وبهذا عوضت الدولة هؤلاء المحاربين عن الوقت الذي أضاعوه من أيام الدراسة أو العمل، وقوبل هذا التعويض بالرضا من غالبية الأمريكيين.

فالقانون الأمريكى يعاقب على استغلال الأفراد وتشغيلهم دون مقابل ملائم، ونحن نطالب بتطبيق هذا القانون على الزنوج الأمريكيين، على أن يكون الدفع في صورة برامج تقدمها الدولة لتحسين حالة السود.

لذلك فإن اقتراح وثيقة الحقوق التي صدرت لمصلحة المحاربين القدامى كان من الأمور الممتازة لذا لابد وأن تصدر أمريكا وثيقة مماثلة لصالح الكادحين المحرومين القدامى الذين عاشوا في حصار من الاضطهاد والحرمان.

إن وثيقة مثل هذه تعوض كل مظلوم منهم دون أن ترهق ميزانية الدولة، وستأتي بتغيير شامل في حياة الزنجي، وسيستجيب له حال الزنجي الآن سريعا وبطريقة بناءة.

ومع أن الزنوج يمثلون السواد الأعظم المحرومين، إلا أنه توجد في أمريكا ملايين من الفقراء سيفيدون من هذا المشروع. حيث يوجد حتى إلى يومنا هذا عمال من البيض يرزخون تحت الاستعباد الاقتصادي، حتى وإن لم تكن بشرتهم سوداء. وهذا الوضع يفسد عليهم حياتهم، ويضيع الفرص من أمامهم، ويشتتهم.

ويمكن القول إن وضعهم أسوأ من وضع الزنوج، لأن التعصب العنصري أفسد تفكيرهم وألتبس عليهم الأمر بحيث أصبحوا يشتركون مع السود.

إن أبسط شروط العدالة في أمريكا عند معالجة موضوع رفع مستوى الزنوج، يقتضي إنقاذ هؤلاء البيض الفقراء المنسيين، وعلى الدولة أن تعالج مشكلة العمالة، لتتفادى خطر التصنيع، فالزنجي غير المؤهل جزئياً، يواجه منافسة الرجل الأبيض، في الوقت الذي يقوم فيه التصنيع بعمل أربعين ألف عامل. ومع أن هذه النتيجة محتومة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية إلا أنها تشكل معضلة لا

تحتمل بالنسبة للزنجي، وقد ضاق بها صدرة. إن النمو السريع في كل من القطاع العام والخاص، وضع طبيعي وحتمي في بلد غني مثل بلادنا، لكنه وصمة عار بالنسبة للملايين الذين يشكون من الفقر ويتكاثرون.

وبالإضافة إلى هذا البرنامج الاقتصادي، يحتاج الأمر إلى برنامج اجتماعي أيضا بسبب تتخلف أجيال الزنوج عن ركب الحضارة، والتى حرمت من التربية الأساسية، مثل القراءة والكتابة والحساب، ومن وظائف معينة، أوممارسة بعض حقوقهم كالانتخاب مثلا، وأيضا بسبب الفقر الذي يجثم على أنفاسهم ويخلق اضطرابات نفسية، مما يدفع الكثيرين منهم لعمل تصرفات تنافي الأوضاع الاجتماعية.

إن أول الضحايا لهذا الوضع، هم الأطفال الذين يكافح آبائهم يوماً بعد يوم للإنفاق عليهم والاستقرار لتنمو تلك الأذهان الناشئة فى جو من الاستقرار.

إن فرص للعمل وسبل استغلالها ما زالت غير ملائمة لإقامة المساواة والعدالة الكريمة البشرية في حياتنا، ونحن نجد أنفسنا في مجتمع لا يطبق فيه الدستور في شتي أنحاء البلاد، ومع أن الدولة قائمة على الدستور، نجد أن الولايات والبلديات تعارض تطبيق قوانين الدستور صراحة، ففي حالة سن قوانين جديدة في أثناء دورة الكونجرس المنعقدة حاليا، إذا حدث وصدرت تشريعات في صف المحرومين، فإن تطبيق تلك الأوضاع الجديدة سيقابل بمعارضة شديدة في كثير من أنحاء البلاد والولايات.

وجدير بالذكر أن بعض الولايات التي تعارض تطبيق الحقوق المدنية، هي تلك الولايات التي تحدت وقاومت اتحادات العمال في الثلاثينيات. وما حدث في الماضي يتكرر الآن، وقد توصلت الحكومة القومية إلى طريقة لحل هذه المشكلة، فوضعت قانون فاجنرر الذي يعطي العمال حق إقامة الاتحادات، وهكذا تم تعيين مجالس إدارة محلية للعمال والتى لها السلطة التنفيذية. مما تسببت في تقويه التعاون (بين العمال). ومن ناحية أخرى كانت النتيجة المزدوجة لهذا القانون، أي المساعدة الجدية من الحكومة، أن آلافا من المعاقل المعادية لحركات العمال، وآلافا من الذين مزقتهم الاضرابات، انتظموا وتحولوا إلى بيئات عمالية رتيبة.

إن سير العمل في المستقبل يجب أن يبحث من زاوية القوى الكامنة وتلك المقاومة. فبينما نعلن فرحين بأن القانون الحقوق المدنية بلغ درجة الإصالة، علينا أن نتذكر أن مقاومة الجنوب العدائية لم تخل بعد.. ونحن لا ننكر أننا أحرزنا تقدما ملموسا، وتؤيد هذه الحقيقة قيام هيئات ذات مصالح مالية وصناعية في مناطق الجنوب، أبدت استعدادها لتقبل هذا التغيير. وهذه الهيئات تتيح الفرص لعناصر الطبقة الوسطى من المواطنين في العمل والمشاركة، وقد استطاع هؤلاء. وما زالوا يقضون تدريجيا على جبهة العنصرية. والكنيسة في الجنوب، والعمال، والقائمون بالعلاقات العامة، يصرحون اليوم بآراء كانت تعتبر في الأمس القريب خاينة في تلك الجهات، ويقتضي تثبيت وتركيز الأعمال الديموقراطية التي بدأت بداية طيبة في عام 1963م، بأن تسير تلك الأعمال قدما، فحركة

تحرير الزنوج تحتاج إلى تأمين وتوسيع صلاتها مع البيئات التي تتفق آراء أفرادها مع مبادئ الحركة.

إنه من المحتوم أن تقوم في المستقبل القريب جيوش من المحرومين السود والبيض على السواء، وأن يتحد الاثنان.

إن موضوع التنظيمات العمالية يتحتم فيه الإتفاق مع الزنوج باعتباره ضرورة لا مناص منها، فإذا كان الزنوج دون أى حقوق فى الجنوب، ودون سلطة تذكر فى الكونجرس، فليس هذا من مصلحة الحركة العمالية، وإذا كانت الخدمات الآلية خطراً على الزنوج، فهى تهدد مصالح الرجل البيض كذلك.

إن عدم مساندة المجلس الوطنى لمسيرة المنظمات العمالية على واشنطن، كانت خطأ كبيراً دعم الشعور القائم بان المنظمات العمالية تفتقر إلى الإدارة الحكيمة والقوة والنظرة الحديثة، والشقاق بين الزنوج والمنظمات العمالية، أكبر عقبة تؤخر التقدم فى حياة البلاد الأمريكية وثمة تحالف آخر يجب القيام بعمله مع الحكومة الفيدرالية. ولا يمكن للحكومة أن تقف فى الوسط بين الاثنين.

إن مهمة تنفيذ الحقوق المدنية، من الصعب على هيئة خاصة أن تقوم بها دون مساعدة الحكومة الفدرالية. وأغلب الناس لا يدركون أن صعوبة إتخاذ القرارات، تقع مسئوليته على الزنجى الذى يصبح مضطراً إلى إقامة دعوى لكى يحصل على حقوقه. مما يعرقل حركة التقدم ليومنا هذا. والحل لا يكون مجدياً إلا إذا تحملت الحكومة نفقات الإجراءات القانونية، أى أن تجعل كلا من الفقراء والعاطلين

يكافحون تحت أوضاع عادلة ليستطيعوا البقاء على قيد الحياة. أما أن نطالبهم بأن يجمعوا المزيد من المال ليواجهوا المشاكل القانونية حتى يحصلوا على حقهم، فمعنى ذلك أننا نزيد من الطين بلة ونحملهم مالا طاقة لهم به.

عام الإغتيالات

لا يستطيع امرؤ أن يتحدث مع الرئيس إيزنهاور عن العدالة والعنصرية دون أن تختلط عليه مشاعره. فلا يوجد أدنى شك فى إخلاص الرجل ولا فى قدرته. ومع ذلك فهو لم يستطع أن يقنع الجمهور بشعوره أو حتى أن يصف المشكلة باعتبارها مشكلة وطنية خطيرة. وطالما شعرت أنه فشل لأن زملاءه ومستشاريه لا يشاركونه فى آرائه وأنه لا يرغب فى الدفاع حتى عن أحب المبادئ إلى قلبه. وبالاضافة إلى ذلك كان الرئيس إيزنهاور محافظاً لدرجة الجمود، ويعتقد أن أى شر يشوه صفحة هذا المجتمع كان - بالنسبة إليه - يحتاج إلى ملقاط يلتقط به هذا، يجب أن لا يلمس ذاك المجتمع الأكرم أى شيء مكروه!

أما الرئيس كنيدى فإنه يختلف تماماً عن شخصية سابقه. وفى الواقع كان يوجد رجلان بهذا الاسم، حكم أحدهما أول عامين تحت ضغط عدم الاستقرار بسبب نجاحه فى الانتخابات دون أغلبية ملموسة، ولكن فى عام 1963م ظهر كنيدى الجديد بعد أن وجد أن الرأى العام ليس مصبوبا فى قالب صلد، وأن رأى الشعب السياسى ليس مرتبطاً بالمحافظين أو الراديكاليين، أو المعتدلين. بل هو فى الواقع

أشبه بالسائل يمكن وضعه فى أى إناء، وبالتالى تستطيع أى قيادة إيجابية أن تقوده إلى سبل بناءة.

كان الرئيس كيندى لا يميل إلى التعبيرات العاطفية، وكان يفهم بوضوح تام ضرورة تغيير نظام المجتمع، وكان عمله لخلق الصداقة الدولية مجهوداً جباراً عالمياً. فوضع كنيدى برنامجاً للتقدم الاجتماعى. وأيام وفاته كان فى حالة تطور من قائد متردد لم يحدد أهدافه بعد، إلى شخصية قوية لها أهداف محددة قيمة.

ومقتل كيندى لم يقض على الرجل فحسب، بل قضى على الأسطورة التى تقول بأن الحقد والعنف يمكن حبسهما فى حجرة محكمة إلا أن يستعملا ضد أقلية معينة. وقد ظهر الحق وإتضح أن الحقد معدى مثل المرض. ولو انتشر الجدرى مثلا فى الجنوب، لاضطر الرئيس كنيدى أن يتجنب تلك المنطقة.

إن الزنوج يعرفون ما هى مآسى الاغتيال السياسى، وطالما مزق صفير الرصاص وزئير القنابل، سكون ليلهم. وقد حل البارود محل الرجم بالحجارة فى مجال السياسة، فمنذ أكثر من عشر سنوات اغتيل هارى.ت مور وزوجته، وكلاهما من قادة الاتحاد الوطنى لتقدم الملونين فى ولاية فلوريدا. وقتل القس جورج لى من بلزونى وهويعتلى درجات إحدى المحاكم فى الأرياف. وتكررت الحوادث بالقنابل. فكان عام 1963م عام الاغتيالات، كان من ضحاياها مدجار إفانز من مسيسبى، ووليام مودر من ألاباما، وستة أطفال من الزنوج فى برمنجهام – ومن يستطيع أن ينكر أنها كانت جميعها اغتيالات سياسية؟.

إن الخطأ الذى لا يغتفر فى مجتمعنا هو فشل هذا المجتمع فى أن يقبض على المجرمين. ومع أن هذا الحكم قاس، إلا أنه حقيقى دون شك، وانتشر الوباء إلى أن أصاب اكبر رأس فى أمريكا، الرجل الذى اكتسب المحبة والتقدير... الرئيس كنيدى. وتحققت نبؤة السيد المسيح حرفيا.

نعم لقد اصابنا مقتل جون كيندى، فنحن قد ثابرنا على الحقد، والإثارة إلى أعمال العنف فى كافة مجالات الحياة، واحتملنا التمييز فى تطبيق القانون فبكينا الرجل الذى أصبح فخر بلاده وبكينا على أنفسنا أيضا وبنا مصابنا لفقده وانتاب الأسى والندم الشعب الأمريكى فبعث عن حب واحترام فاطلقوا اسمه على المطارات والكبارى ومراكز الفضاء والطرق كأعظم تقدير له عقب موته مباشرة وقد قام لويس هايس بدراسة رد فعل المواطنين على هذا الاغتيال وكتب يقول بهذا الخصوص: (لقد أدى مقتل الرئيس كيندى إلى تغير عميق فى تفكير الشعب الأمريكى فأصبح ينفر من التطرف اليمينى واليسارى على السواء ويشعر أنه مذنب لعدم تسامحه) فإذا كانت المأساة التى قضت على كيندى وهو فى مقتبل العمر أدت إلى إيقاظ الشعور الإنسانى فى الشعب بأكمله، يمكن اعتبار هذا فى حد ذاته نصبا يمثل القوة الأزلية للخير.

وساعدنى الحظ مقابلة بيندون جونسون أيام كان نائبا لرئيس الجمهورية ولم يكن فى ذاك الوقت يأمل فى الرئاسة بل أن يبحث عن الدور الذى سوف يلعبه مع رئاسة رجل سيبقى أربع سنوات فى هذه المنصب ولعله يبقى أربعا أخرى لذلك كان من اليسير أن

اتفاهم معه على النقاط الهامة فى مشكلتنا، بعيدا عن الاعتبارات السياسية

لقد كانت نظريته تجاه الحقوق المدنية تختلف عن نظريتى إليها وكنت أتوقع ذلك وفيما بعد، كنت أفكر فى الرئيس جونسون عندما كتبت فى مجلة (The Nation) أن أهالى الجنوب البيض قد انشقوا على بعضهم البعض واليوم امتدت قيادة جونسون من الجنوب إلى باقى أنحاء البلاد وتدل تصريحاته - الخاص منها والعام - على أنه يفهم بوضوح المشاكل المعاصرة. وقد رأى أن الفقر والبطالة يمثلان كارثة خطيرة نامية، وأنه يدرك أن الذين تقع عليهم الطامة الكبرى اقتصاديا هم الزنوج، لذلك وضع هدفا ذا شقين لعلاج الموقف بمناهضة العنصرية عن طريق القضاء على الفقر.

وأنا لا أشك فى أن الرئيس يحاول هذا باخلاص وواقعية... بحكمة. وآمل أن يتبع الطريق القويم والصحيح وسأبذل قصارى جهدى للوصول إلى هذه النتيجة سواء بالخطابة فى الوقت الملائم، أو بالمقاومة.

إبان حملة الانتجابات عام 1960م ومنذ شهور مضت، طالبنى أصدقائى بإعلان مساندتى لجون كنيدى، وقضيت الساعات مبلبل الفكر لأتخذ قرارا ملائما وكنت أقدر مزايا الرجل وشخصيته الجذابة وتفكيره وكنت مدنيا له ولأخيه روبرت كينيدى إذ تدخل الاثنان لمساعدتى فى أثناء سجنى فى جورجيا عام 1960م.

ومع ذلك شعرت أن كفة التاريخ تحول دون اعترافى بذلك علانية

فلم نصادف نحن الزنوج - منذ الرئيس لنكولن - أى رئيس آخر ساند قضيتنا للتحرير بشكل يجعلنا نثق به، مثل كنيدى فلو أن الرئيس كنيدى قد بقى على قيد الحياة لوقفت فى صفه فى الانتخابات المقبلة.

وأنا لم أصل إلى هذا القرار لمجرد ثقتى بالرئيس كنيدى، ولعل السبب الرئيسى هو أن الحقوق المدنية وصلت إلى مرحلة جديدة تقتضى سياسة جديدة. مع التغيير فى الواقع، وأصبحت تلك الحقوق على درجة من القوة بحيث يمكن لها أن تعقد أحلافا جديدة وأن تتعهد بالتزامات جديدة مقابل وعود بالمساعدة من الخارج، ولو حدث ولم تنفذ تلك الوعود، لأمكن لتلك الحقوق أن تسير تتقدم دون أى عقبات.

التطاحن السياسى

لقد ابتعد الزنوج عن حلبة التطاحن السياسى. وقلما توجد أقلية احتفظت بعزلته لمدة طويلة مثل ما فعل الزنوج. فالألمان، والأيرلنديون، والإيطاليون، واليهود بعد فتر التأقلم يتغلغلون فى الهيئات السياسية ويصبح لهم تأثيرهم عليها. أما الزنوج - سواء رجع ذلك إلى محض إرادتهم أو إلى حياتهم المنعزلة فإنهم عاشوا خارج نطاق الحياة السياسية وكانوا مجرد قوة مقاومة محدودة المدى.

وحافظت تلك المقاومة على كيان الزنجى من الفساد والاستغلال السياسى. فأى زعيم لأحد الأحياء حتى وإن كان سافلا ما استطاع

أن يوجه الزنوج مثل قطيع الغنم إلى مراكز الانتخاب، والقلة القليلة من الموجهين السياسيين الزنوج لم يتبعهم إلا عدد محدود من الاتباع انقادوا إليهم. وبصفة عامة بقى الزنجى متشائماً، له هدفه ورأيه المستقل، وعلى الرغم من افتقار الزنجى إلى التعليم الأساسى فإن لديه من الوعى ما يهديه إلى اختيار الطريق الصائب.

لقد دفع الزنجى الثمن على ذلك لوضع إذ لم يستطيع القيام بأى برنامج سياسى إيجابى إلا فى أضيق الحدود ولكن فى الماضى القريب، وبعد وضع برنامج العمل المباشر، إتضح كيان الزنجى أمامه وأمام القيادة السياسية، وبدأ فى إعادة توجيه آراء الزنوج بالنسبة للدور الذى يمكنهم القيام به فى الحياة السياسية. وعلينا أن نختار الأعضاء الذين أثبتوا بأعمالهم فى الماضى أنهم موضعاً لثقتنا.

حق الانتخاب

في يونيو1957م وهو في السابعة والعشرين من عمره، كان مارتن لوثر كينج أصغر شخص وأول قسيس يحصل على ميدالية "سينجارن" التي تعطى سنويا للشخص الذي يقدم مساهمات فعالة في مواجهة العلاقات العنصرية.

وبهذه المناسبة وأمام نصب "إبراهام لينكولن" وجه كينج خطابه الذي هاجم فيه الحزبين السياسيين الرئيسيين (الجمهوري والديمقراطي) وردد صيحته الشهيرة: "أعطونا حق الانتخاب"، ونجحت مساعيه في تسجيل خمسة ملايين من الزنوج في سجلات

الناخبين في الجنوب. فكانت أكبر مظاهرة في تاريخ الحقوق المدنية، وهنالك ألقى كينج أروع خطبه، والتي قال فيها: "إنني أحلم اليوم بأن أطفالي الأربعة يعيشون يوما في شعب لا يكون فيه الحكم على الناس بألوان جلودهم، ولكن بما تنطوي عليه أخلاقهم."

ووصف كينج المتظاهرين كما لو كانوا قد اجتمعوا لاقتضاء دين مستحق لهم، ولم تف أمريكا بسداده "فبدلا من أن تفي بشرف بما تعهدت به أعطت أمريكا الزنوج شيكا بدون رصيد، شيكا أعيد وقد كتب عليه "إن الرصيد لا يكفي لصرفه."

مكتبة الرمحي أحمد

فدقت القلوب وارتجفت، بينما أبت نواقيس الحرية أن تدق بعد، فما أن مضت ثمانية عشر يوما حتى صُعق مارتن لوثر كينج وملايين غيره من الأمريكيين بحادث وحشي، إذ ألقيت قنبلة على الكنيسة المعمدانية التي كانت وقتذاك زاخرة بتلاميذ يوم الأحد من الزنوج؛ فهرع كينج مرة أخرى إلى مدينة برمنجهام، وكان له الفضل في تفادي انفجار العنف.

لقد اصبحت قدرة الزنجى السياسية حقيقة مادية. فالزنوج منتشرون فى المدن الكبرى، التى لها دوًرا فعالا فى الانتخابات، والولايات كذلك تلعب دورا رئيسيا فى انتخابات الرئاسة وكثيرا ما تتحكم فى الترشيح. وهذا الوضع الفريد يرجح كفة الزنجى فى توجيه السلطة، وقد بدأ هذا الأثر يظهر بوضوح. ففى جنوب كالفورنيا مثلا، تسبب الـ10.000صوت من المرشحين الزنوج فى نجاح الرئيس كنيدى فى الانتخابات عام 1960م، ومنذ ذلك التاريخ أضيفت أسماء نصف مليون زنجي بجداول الانتخابات في

الجنوب. وترتب على هذا أن تحول الزنوج من شخص إلي آخر قد يغير نتيجة الانتخابات في العديد من الولايات مما يؤثر في انتخابات الرئاسة.

وقد نما حالياً في بعض من الولايات بالجنوب تحالف بين الزنجي والناخب الأبيض وتوصل البيض بفضله إلي انتخاب نوع جديد من موظفي الحكومة من غير العنصرين وهم في ذات الوقت لا يعترفون صراحة بالإدماج. وعلى الصعيد الوطني نجد أن الكونجرس اليوم تسيطر عليه جماعة من الجنوبيين الرجعين تتيح لهم سطوتهم على اللجان الرئيسية أن يتحكموا في التشريع. وانضم هؤلاء الرجعيون إلي أمثالهم بالشمال وأصبحت تلك المجموعة من المشرعين الذين لا يمثلون الأغلبية الفعلية عاملا يشل حركة البلاد إذ إنهم يسدون الطريق أمام إنجاز الأعمال الملحة. ولن يتأتي لنا أن نقضي سريعاً على هذا الحصن الذي أقامته أقلية من الشعب ليكون حجر عثرة أمام التشريع، إلا إذا تضافر السود والبيض معاً ليخلفوا ناخبين لديهم وعي سياسي.

وجدير بنا أن نتذكر أن التكتلات ليست فريدة في الحياة الأمريكية، كما أنها ليست شراً؛ ذلك أن هدفها هو الذي يحدد صفاتها. فإذا كانت الأهداف سليمة كان التكتل قوة سليمة تعمل في المجال السياسي.

ولأن الزنوج يستطيعون أن يصبحوا قوة متكاملة واعية في المجال السياسي، فإنهم يستطيعون كذلك أن ينجزوا أكثر من مجرد أهدافهم الشعبية. فالسياسية الأمريكية في أشد الاحتياج إلي جرعة من

التضحية والشعور بالقيام بالخدمات العامة، وللآن لم يتدخل إلا عدد قليل جداً من القادة السود ذوي المواهب والخلق الكريم في أي حزب سياسي. وقد بقي أمثال القاضي وليام هاستي ورالف بانش وبنجامين ميسي وفيلب راندولف بعيداً عن مسرح السياسة. وفي الفترة المقبلة يجب على هؤلاء وغيرهم - السود الأبيض - أن يتقدموا إلي هذا الميدان وأن يرشحوا أنفسهم ليضفوا على الانتخابات ما يتسمون به من إنسانية وشرف وآمال.

وأيا كانت الرغبات التي يطلبها الزنجي من المواطن الآخر فإنه لا يفعل هذا ليخفف من مسؤليته. إن واجباته واجبات أساسية وتتطلب تضحيات أثبت أنه كفء لأن يتحملها. لذا يجب أن يتعلم مهارات جديدة، وواجبات جديدة، وأن يعتنق فلسفة جديدة لحياة بناءة وخلاقة. وإذا سألنا رجلاً أطلق سراحه بعد سنوات قضاها مسجوناً، ما هي الجهود التي يقوم بها لمواجهة الامتيازات والمسؤليات التي تفرضها الحرية عليه؟ يتضح لنا من إجابته شماخة المسئولية التي سيحملها الزنجي في الأعوام المقبلة.

فالزنجي عندما يكتسب لنفسه أي حقوق فإنه يساهم بهذه الطريقة في تقدم البلاد.

وأخيراً: فإن حركة الحقوق المدنية ستخدم الدولة أكثر من مجرد استئصال التمييز العنصري فقط. فسوف يتحقق ما قاله القس جون دون بأن "المرء ليس جزيرة (أى يعيش بمعزل)".

ونحن إذ تقيم ثورة الحقوق المدنية نجد أن أهم ما جاءت به من

فوائد يتركز في مجال السلام العالمي. ذلك أن فكرة العمل المباشر السلبي قد انتشرت بالولايات المتحدة باعتبارها سلاحاً لتغيير الأوضاع في صلات الشعوب ببعضها بعضاً. وحتي يومنا هذا لم يعتنق فلسفة العمل المباشر إلا عدد محدود من الناس.

أما الحشود فقد انساقت إليها باعتبارها سلاحً عملياً تستعمله دون أن تعتنق الفكرة كمبدأ.

لكن عدد المؤمنين بهذه الفلسفة قد أصبح في ازدياد مضطرد، وحتى إن الإتفاقيات السياسية لم تعد ضماناً كافياً لحماية الآرواح من هذا الخطر، ومن ناحية أخري يتحتم إيجاد فلسفة في تناول ومستوي الشعب تكون أقوي من مجرد استسلامه للموت.

لقد ولد المرء في عهد البربرية، أيام كان قتل الرجل الآخر مسألة طبيعية لمواجهة البقاء. ثم تفتح ضميره، حتى وصل به الحال فيجب أن يكون فيه العنف نحو رجل آخر لنفسه مثل أكل لحم البشر تماماً.

وعدم العنف هو الحل لمشكلة الزنوج، ولعله يصبح في المستقبل الحل لمشاكل البشرية جمعاء.

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

@ktabpdf .. تيليجرام

المحتويات

تمهيد: حياة أخرى للحلم	3
لست أقل من الآخرين	4
نقطة تحول	5
مقاومة بلا عنف	6
في السجن الانفرادي	7
إيقاع الخصم في خطأ	8
الحلم.. والثورة	9
جائزة نوبل	10
الاغتيال	11
مقدمة الكاتب	13
مقدمة الكتاب	17
الفصل الأول	23
ثورة الزنوج	23
لماذا قامت الثورة في 1963م بالذات؟	27
يأس الزنوج	30
صورة الزنوج والأحداث الدولية	32

الفصل الثاني 41
الثورة والعمل السلمى 41
العشر الموهوب 50
الزنوج المسلمون 54
التراث الديني للزنوج 56
فكرة الاعتصام 63
الفصل الثالث 69
بوول كونورسيد برمنجهام 69
أوجين بوول كونور 72
الفصل الرابع 85
يوم جديد يشرق على برمنجهام 85
التطوع والوصايا العشر 89
حركة ألاباما ومنظمة المؤتمر القيادية 92
"الدخيل" وناقوس المقاطعة 96
السجن 103
الفصل الخامس 107
رسالة من سجن برمنجهام 107
الفصل السادس 127
سود وبيض معاً 127
الفصل السابع 143
صيف يسوده سخط الزنوج 143
موقعة بونكر هل 147

السرعة التلقائية 149

استئصال العنصرية 154

الفصل الثامن 157

الغد القريب للحرية: 157

العمل الثوري 160

نهرو 165

عام الاغتيالات 172

التطاحن السياسى 167

حق الانتخاب 177

مكتبة عبدالحميد شومان العامة

A12139545